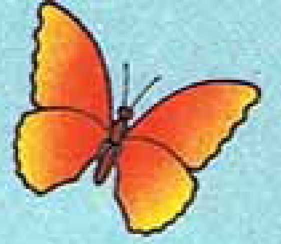


كتب الفراشة - القِصَص العالميّة

كُنوز المَلِك سُلَيمان

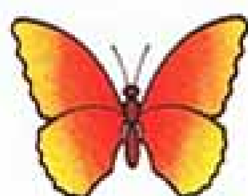


كتب الفراشة - القِصَص العالميّة

كُنوز المَلِك سُلَيْمان



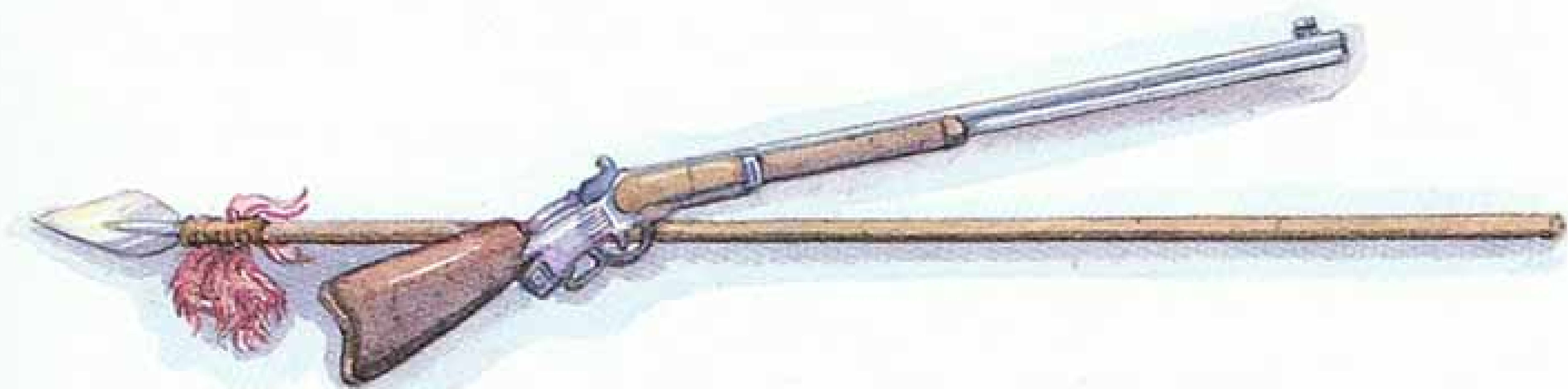
أعادَ حِكايتها : الدّكتور ألبير مُطْلَق
عَن قِصّة هنري رايْدَر هَغَرْد



مَكتبة لبْنان ناشِرُون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ٩٢٣٢-١١
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٥
رقم الكتاب 01 C 196815
طبع في لبنان

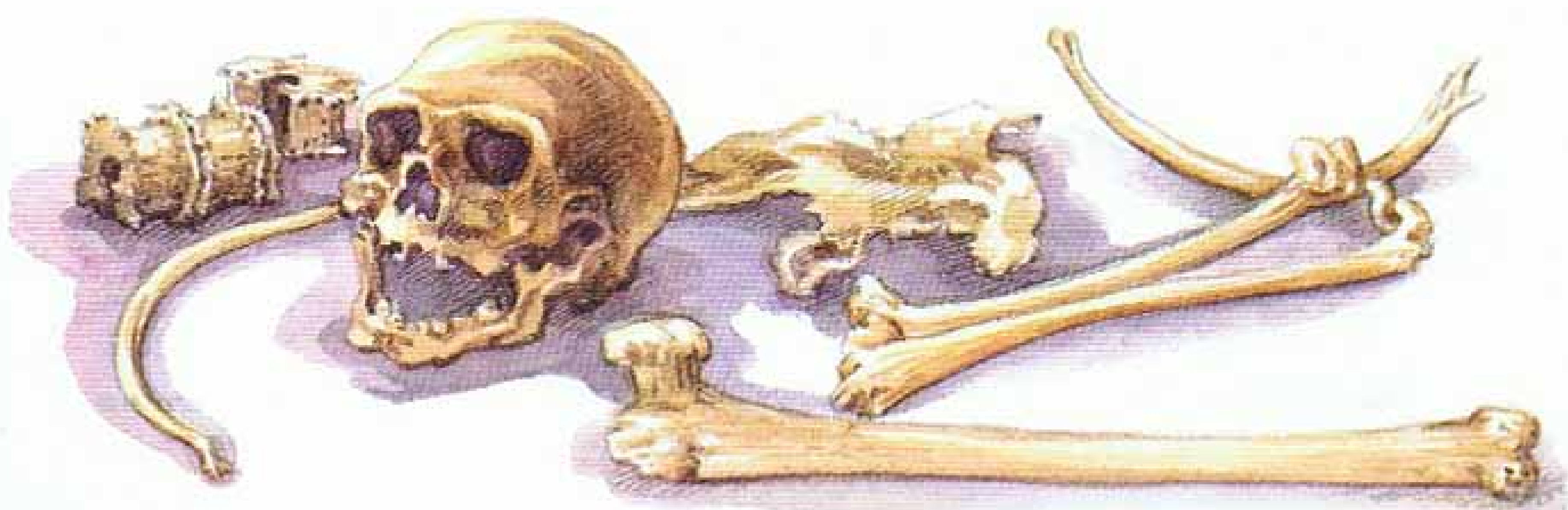


مقدّمة

فَتَنَتْ إفريقيا في الْقَرْنِ التّاسِعَ عَشَرَ الْأوروبِيِّينَ. رَأَوْها قارَّةً حافِلَةً بِالْغَرائِبِ وَآسِرَةَ الْجَمالِ. وَأَكْثَرَ الرَّحّالَةُ مِنْ رِوايَةِ الْمُغامَراتِ الْإفْريقِيَّةِ الَّتي عاشوها أَوْ سَمِعوا بِها. فَلا غَرابَةَ إذًا أَنْ لاقى كِتابُ **كُنوز الْمَلِكِ سُلَيْمانَ** الَّذي نُشِرَ في الْعامِ ١٨٨٥ نَجاحًا واسِعًا، ذٰلِكَ أَنَّهُ لَمْ يُقَدِّمْ لِلْقُرّاءِ قِصَّةً مُشَوِّقَةً لِلْغايَةِ فَحَسْبُ، بَلْ قَدَّمَ لَهُمْ أَيْضًا صورَةَ إفْريقِيا كَما كانوا يَتَخَيَّلونَها وَيُحِبّونَها - إفْريقِيا الْقَبائِلِ الْغامِضَةِ وَالتُّراثِ الْقَديمِ وَالْكُنوزِ الدَّفينَةِ.

لَقَدِ اسْتَغَلَّ رايْدَر هَغَرْد افْتِتانَ الْقُرّاءِ بِما تُمَثِّلُهُ لَهُمْ إفْريقيا مِنْ سِحْرٍ وَغُموضٍ، فَحاوَلَ في أَوَّلِ كِتابِهِ أَنْ يُوهِمَ أَنَّهُ يَسْرُدُ وَقائِعَ لا أَحْداثًا خَيالِيَّةً. يَفْتَتِحُ كِتابَهُ «كُنوز الْمَلِكِ سُلَيْمانَ» بِمَشْهَدٍ لا غَرابَةَ فيهِ، يَتَبادَلُ فيهِ نَفَرٌ مِنَ الأوروبِيِّينَ على مَتْنِ السَّفينَةِ الَّتي كانوا يَسْتَقِلّونَها أَحاديثَ يَتَناوَلونَ فيها قارَّةَ إفْريقيا. وَيَنْتَقِلُ القارِئُ مِنَ العالَمِ الواقِعِيِّ إلى عالَمِ الْخَيالِ انْتِقالًا تَدْريجِيًّا رَفيقًا بِحَيْثُ يَتَراءى لَهُ أَنَّ المَعالِمَ الرَّئيسِيَّةَ لِلْكِتابِ قابِلَةٌ لِلتَّصْديقِ. وَفي الكِتابِ أَيْضًا تَفاصيلُ دَقيقَةٌ عَنْ قارَّةِ إفْريقيا تُغَذّي هٰذا الإحْساسَ بِالواقِعِيَّةِ. فَالكَثيرُ مِنْ أَسْماءِ الأَماكِنِ الَّتي يُورِدُها هَغَرْد مَوْجودَةٌ فِعْلًا. وَفي الرّيفِ الَّذي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ في «كُنوز المَلِكِ سُلَيْمانَ» وَفي النّاسِ الَّذينَ يَصِفُهُمْ مَلامِحُ كَثيرَةٌ مِنَ الرّيفِ الَّذي شاهَدَهُ في مَناطِقَ مِنْ جَنوبِ إفْريقيا وَمِنَ النّاسِ الَّذينَ قابَلَهُمْ هُناكَ.

ضِمْنَ هٰذا الهَيْكَلِ ذي الطّابَعِ الواقِعِيِّ يُطْلِقُ هَغَرْد لِخَيالِهِ العِنانَ. فَيَصِفُ السّاحِراتِ والخَوارِقَ، والمَمَرّاتِ السِّرِّيَّةَ القَديمَةَ، وطَبْعًا، الكُنوزَ الدَّفينَةَ. ويُبْرِزُ هَغَرْد على مَدى الكِتابِ حِذْقَهُ في خَلْقِ المَشاهِدِ والصُّوَرِ الحَيَّةِ المُثيرَةِ. ولَعَلَّ أَبْرَزَ المَشاهِدِ إثارَةً ذٰلِكَ المَشْهَدُ الّذي يُصَوِّرُ وُصولَ بَطَلِ الكِتابِ وَصَحْبِهِ ودَليلَتِهِم الشِّرّيرَةِ، السّاحِرَةِ غوغول، إلى «كَهْفِ المَوْتِ». هُنا يُصَوِّرُ هَغَرْد، تَصْويرًا قاتِمًا يُنْذِرُ بالوَيْلِ، المَوْتى مِنْ مُلوكِ القَبائِلِ يَتَحَوَّلونَ بِبُطْءٍ، بِفِعْلِ المَطَرِ المُتَقَطِّرِ مِنْ سَقْفِ الكَهْفِ، إلى حِجارَةٍ. تِلْكَ صورَةٌ مُثيرَةٌ يَصْعُبُ مَحْوُها من مُخَيِّلَةِ القارِئِ، ولَعَلَّها بَدَتْ لِقُرّاءِ ذٰلِكَ الزَّمانِ صورَةً مِنْ إفْريقيا ذاتَ أَساسٍ واقِعِيٍّ.



كُنوزُ المَلِكِ سُلَيمان

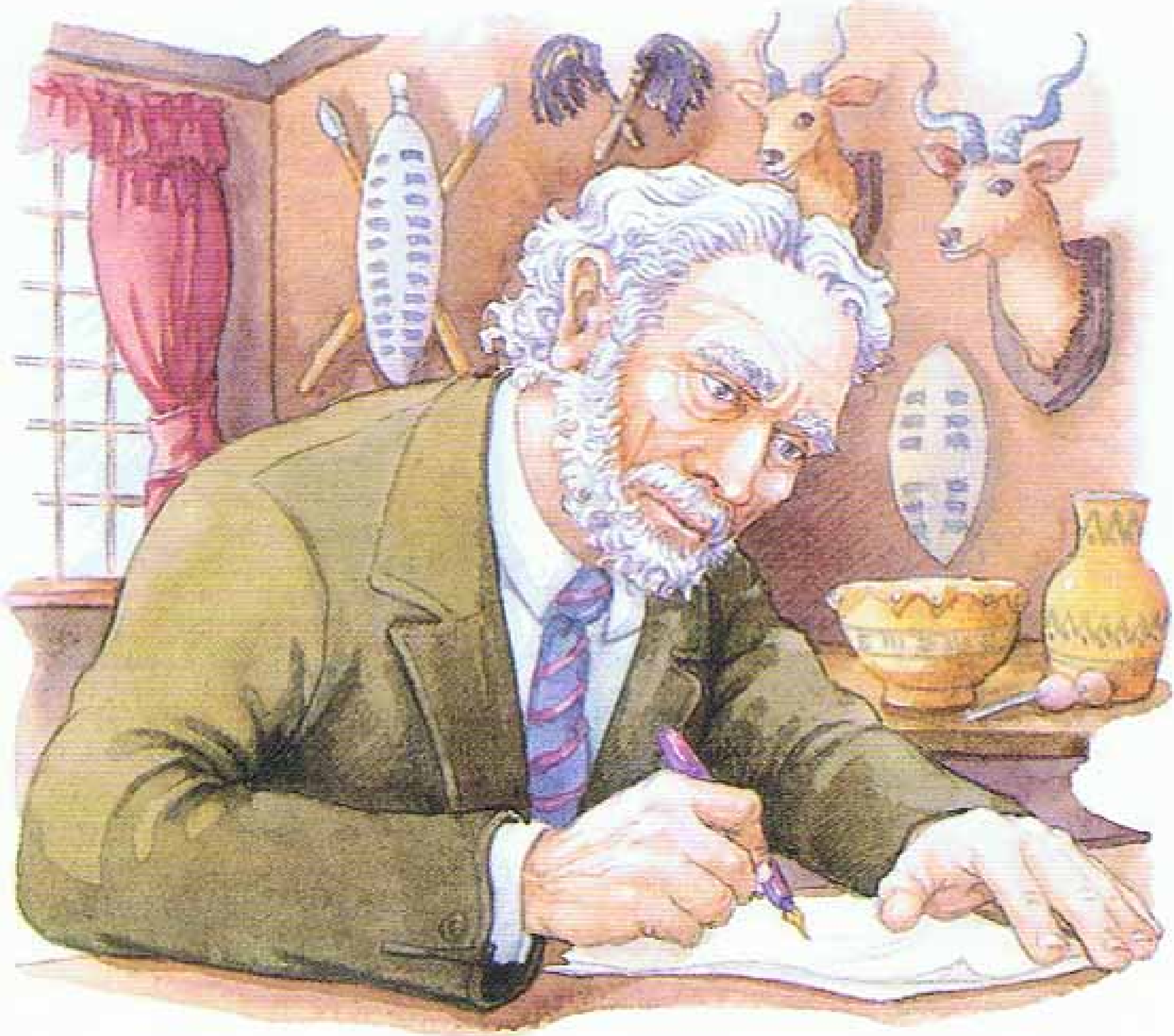
عَزيزِيَ الْقارِئَ ،

رَأَيْتُ أَنَّ خَيْرَ أُسْلوبٍ أَرْوي لَكَ بِهِ قِصَّتي هُوَ الأُسْلوبُ الْمُباشَرُ الْبَسيطُ .

أَسْتَميحُكَ عُذْرًا عَلى أُسْلوبي غَيْرِ الْمُنَمَّقِ في الْكِتابَةِ . فَأَنا قَدْ تَعَوَّدْتُ اسْتِخْدامَ الْبُنْدُقِيَّةِ لا الْقَلَمِ ، وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْ دَهْرِهِ ما تَعَوَّدَ !

يَقولُ الْمَثَلُ الإِفْريقِيُّ : «الْحَرْبَةُ الْحادَّةُ لَيْسَتْ بِحاجَةٍ إِلى تَلْميعٍ .» وَعَلى ذٰلِكَ فَإِنّي آمُلُ أَنَّ هٰذِهِ الْقِصَّةَ الْحَقيقِيَّةَ لَنْ تَحْتاجَ ، مَهْما بَدا عَلى أَحْداثِها مِنْ غَرابَةٍ ، إِلى لَبوسٍ مِنْ كَلِماتٍ مُنَمَّقَةٍ .

أَلَنْ كاتَرْمين



لَعَلَّ مِنَ الْغَريبِ أَنّي ، أَنا أَلَن كاترْمين ، وَقَدْ بَلَغْتُ الْخامِسَةَ وَالْخَمْسينَ مِنْ عُمْري ، وَبَعْدَ عُمْرٍ قَضَيْتُهُ في الصَّيْدِ وَالتِّجارَةِ وَالْعَمَلِ في مَناجِمِ إفْريقِيا ، أَجِدُ نَفْسي أَتَناوَلُ قَلَمًا لِأُدَوِّنَ أَحْداثَ قِصَّةٍ . وَأَغْرَبُ مِنْ ذٰلِكَ الْأَحْداثُ نَفْسُها الَّتي أُدَوِّنُها . لَقَدْ خُضْتُ مُنْذُ ثَمانِيَةِ شُهورٍ مُغامَرَةً مُذْهِلَةً جَلَبَتْ عَلَيَّ ثَرْوَةً واسِعَةً ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنّي عَلى يَقينٍ أَنّي لَنْ أَحْتَمِلَ مَرَّةً أُخْرى مَشَقّاتٍ كَالَّتي عانَيْتُها في حُصولي عَلى تِلْكَ الثَّرْوَةِ .

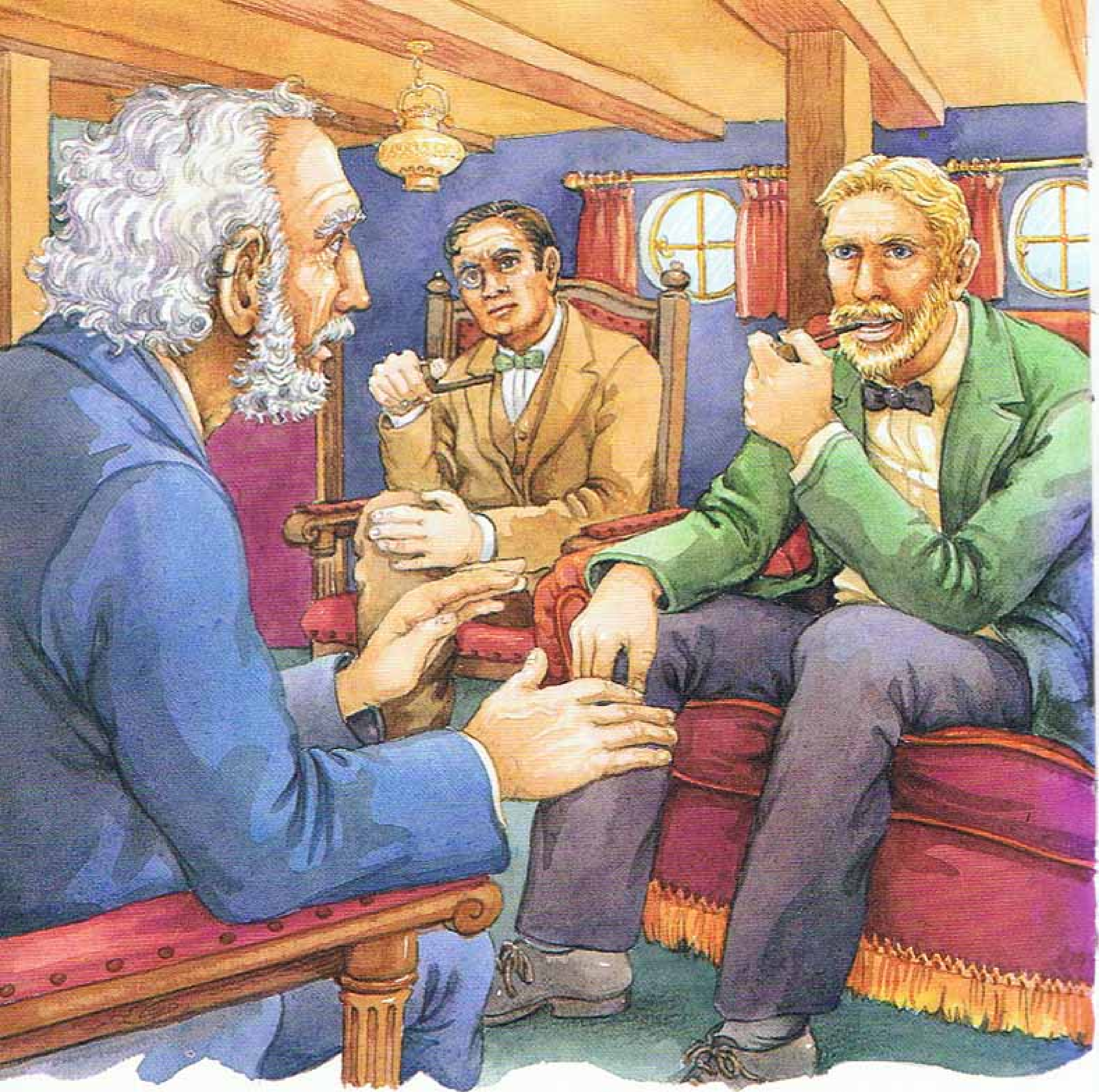
فَلْأَبْدَأْ . كُنْتُ مُنْذُ ثَمانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا عَلى مَتْنِ سَفينَةٍ تُقِلُّني مِنْ مَدينَةِ الْكابِ إلى ناتال . وَلَقَدْ لَمَحْتُ بَيْنَ الْمُسافِرينَ رَجُلَيْنِ حَظِيا بِاهْتِمامي . أَحَدُهُما السِّير هَنْري كورْتِس ، وَكانَ رَجُلًا ضَخْمًا أَشْقَرَ ذا لِحْيَةٍ كَثَّةٍ . وَالْآخَرُ ، وَكانَ يُرافِقُ السِّير هَنْري ، قُبْطانٌ مُتَقاعِدٌ وَكانَ أَسْمَرَ قَصيرًا أَنيقًا ، ذا نَظّارَةٍ أُحادِيَّةِ الزُّجاجَةِ شَديدَ التَّعَلُّقِ بِها ، وَشَديدَ التَّعَلُّقِ ، كَما كانَ مُقَدَّرًا لي أَنْ أَعْرِفَ فيما بَعْدُ ، بِطَقْمِ أَسْنانٍ اصْطِناعِيَّةٍ حَسَنِ الصُّنْعِ .

تَبادَلْنا ثَلاثَتُنا الْحَديثَ وَأَتَيْنا عَلى ذِكْرِ هِوايَةِ الصَّيْدِ . وَفَهِمْتُ مِنَ السِّير هَنْري أَنَّهُ جاءَ إلى جَنوبِ إفْريقِيا لِيَبْحَثَ عَنْ أَخيهِ الْأَصْغَرِ ، جورْج ، الَّذي كانَ قَدْ هَجَرَ الْبَلَدَ قَبْلَ ثَلاثِ سَنَواتٍ لِجَفاءٍ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخيهِ . وَكانَ جورْج قَدِ اخْتَفى بُعَيْدَ ذٰلِكَ اخْتِفاءً غامِضًا في أَثْناءِ رِحْلَةِ صَيْدٍ وَاسْتِكْشافٍ في إفْريقِيا الْوُسْطى . وَكانَ السِّير هَنْري يَشْعُرُ ، عَلى الرُّغْمِ مِنَ الضَّغينَةِ الَّتي كانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخيهِ ، أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْ أَخيهِ الضّائِعِ .

وَفيما كانَ السِّير هَنْري يَرْوي لي حِكايَتَهُ ذَكَّرَتْني مَلامِحُهُ بِرَجُلٍ كُنْتُ قَدْ قابَلْتُهُ في بَعْضِ مَناطِقِ ناتالَ الدّاخِلِيَّةِ . وَفَجْأَةً بَرَقَ في ذِهْني خاطِرٌ . لا بُدَّ أَنَّ ذٰلِكَ الرَّجُلَ الَّذي قابَلْتُ هُوَ شَقيقُ السِّير هَنْري ، فَوُجوهُ الشَّبَهِ بَيْنَهُما صارِخَةٌ . يا لَها مِنْ مُصادَفَةٍ عَجيبَةٍ !

قُلْتُ بِحَماسَةٍ : «أَنا واثِقٌ ، يا سير هَنْري ، أَنّي قابَلْتُ أَخاكَ مُنْذُ سَنَواتٍ في مَرْكَزٍ تِجارِيٍّ ، شَمالِيَّ ناتالَ . وَلَقَدْ أَخْبَرَني دَليلُهُ أَنَّ أَخاكَ اتَّجَهَ شَمالًا «لِيَبْحَثَ عَمّا هُوَ أَنْفَسُ مِنَ الصَّيْدِ وَالذَّهَبِ .»

عِنْدَما ذَكَرْتُ ذٰلِكَ رَأَيْتُ السِّير هَنْري وَالْقُبْطانَ غود يَتَبادَلانِ نَظْرَةَ اهْتِمامٍ .



قالَ السّيرِ هَنْري : «إنَّ ما تَقولُ ذو أَهَمِّيَّةٍ ، يا سَيِّدُ كاتَرْمين . هَلْ ذَكَرَ الدَّليلُ تَفاصيلَ غَيْرَ ذٰلِكَ ؟»

«نَعَمْ ! لَقَدْ ذَكَرَ شَيْئًا عَنْ كُنوزِ المَلِكِ سُلَيْمانَ وَما جَرى مِنْ مُحاوَلاتٍ لِلْعُثورِ عَلَيْها .»

بَدا التَّنَبُّهُ الشَّديدُ عَلى الرَّجُلَيْنِ وَرَأَيْتُهُما يَقْتَرِبانِ مِنّي يَتَرَقَّبانِ ما أَقولُ بِتَلَهُّفٍ شَديدٍ . فَشَرَعْتُ أُتابِعُ رِوايَتي .

مُنْذُ سِنينَ عَديدَةٍ رَوى لي تاجِرٌ اسْمُهُ إيڤانْز حِكايَةً غَريبَةً. قالَ لي إِنَّهُ اكْتَشَفَ بَقايا حَضارَةٍ قَديمَةٍ في جِبالٍ يُقال إِنَّ الْمَلِكَ سُلَيْمانَ خَبَّأَ كُنوزَهُ الْأُسْطورِيَّةَ فيها. وَالسُّكّانُ هُناكَ، وَيُدْعَوْنَ الْكوكوانا، ذَوو صِلَةٍ بَعيدَةٍ بِقَبيلَةِ الزّولو، وَيَتَكَلَّمونَ لَهْجَةً مِنْ لَهَجاتِها. لٰكِنَّهُمْ أَضْخَمُ أَجْسامًا مِنْ رِجالِها.

قالَ السّيرْ هَنْري، وَقَدْ بَدا عَلَيْهِ الاِهْتِمامُ الشَّديدُ: «هٰذا شَيْءٌ مُذْهِلٌ! أَرْجوكَ، أَكْمِلْ حِكايَتَكَ، يا سَيِّدُ كاتَرْمين!»

«عَلَيْكُما أَوَّلًا أَنْ تَعِدا وَعْدًا قاطِعًا بِأَنْ تَحْفَظا سِرَّ ما سَأَرْويهِ لَكُما!»

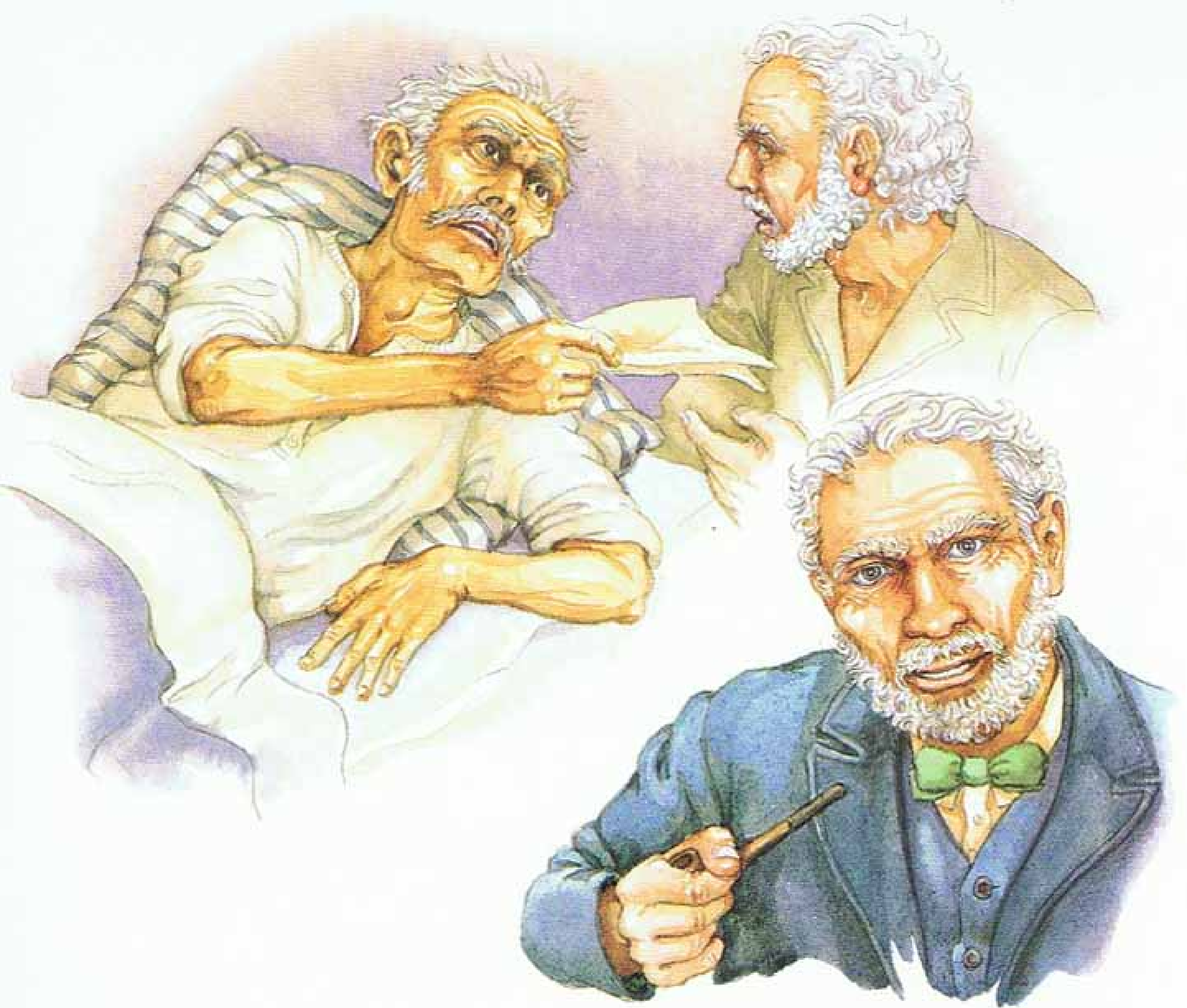
أَسْرَعَ الرَّجُلانِ يَهْتِفانِ: «طَبْعًا، طَبْعًا!»

تابَعْتُ رِوايَتي قائِلًا: «ثُمَّ إِنّي بَقيتُ سَنَواتٍ لا تَخْطُرُ لي حِكايَةُ إيڤانْز عَلى بالٍ. إِلى أَنْ كُنْتُ يَوْمًا في مَوْضِعٍ في الشَّمالِ يُدْعى سيتانْدا، يَقَعُ شَمالِيَّ نَهْرِ زَمْبيزي. وَهُناكَ قابَلْتُ رَجُلًا بُرْتُغالِيًّا اسْمُهُ جوزيه سِلْفِسْتَر أَسَرَّ إِلَيَّ أَنَّهُ يَتَّجِهُ بِرِفْقَةِ دَليلِهِ إِلى مَوْضِعٍ في الشَّمالِ الْغَرْبِيِّ، وَأَنَّهُ يَأْمُلُ أَنْ يَعودَ مِنْ ذٰلِكَ الْمَوْضِعِ غَنِيًّا غِنًى فاحِشًا يَفوقُ كُلَّ خَيالٍ.

لَمْ أَكْتَرِثْ بِما قالَهُ الرَّجُلُ. لٰكِنْ حَدَثَ بَعْدَ أَسابيعَ، وَكُنْتُ لا أَزالُ في سيتانْدا، أَنْ جاءَني الْبُرْتُغالِيُّ عَيْنُهُ وَهُوَ في حالَةٍ مِنَ الْإِعْياءِ الشَّديدِ، يَجُرُّ نَفْسَهُ جَرًّا، وَقَدْ بَدا أَقْرَبَ إِلى هَيْكَلٍ عَظْمِيٍّ مُتَنَقِّلٍ. اِنْهارَ الرَّجُلُ عِنْدَ قَدَمَيَّ، وَسَمِعْتُهُ يَئِنُّ أَنينًا واهِنًا قائِلًا: «ماءٌ، ماءٌ!»

قَدَّمْتُ لِلرَّجُلِ الْبائِسِ في خَيْمَتي ما أَمْكَنَني مِنْ عِنايَةٍ. كانَ يَهْذي طَوالَ الْوَقْتِ بِكَلِماتٍ عَنْ ماسٍ وَكُهوفٍ وَساحِراتٍ وَصَحارى. وَبَدا لي أَنَّهُ لَنْ يَعيشَ طَويلًا.

فَجْأَةً سَمِعْتُهُ يَقولُ بِحَشْرَجَةٍ: «اِسْمَعْ، يا سَيِّدُ، أَنا عَلى فِراشِ الْمَوْتِ. كُنْتَ رَفيقًا بي. لَعَلَّكَ تَنْجَحُ حَيْثُ فَشِلْتُ. خُذْ هٰذِهِ! إِنَّ فيها سِرِّي وَخَريطَتي. وَكِلاهُما حُفِظا في أُسْرَتي مِئاتِ السِّنينَ، يَتَلَقّاهُما جيلٌ عَنْ جيلٍ. إِنَّها تَرْوي حِكايَةَ جَدِّيَ الْأَكْبَرِ الَّذي



أَحْمِلُ اسْمَهُ، وَكانَ واحِدًا مِنْ أَوائِلِ الْمُسْتَكْشِفينَ الْبُرْتُغالِيّينَ، وَصَلَ إلى إفْريقيا مُنْذُ نَحْوِ ثَلاثِمِئَةِ سَنَةٍ، وَهَلَكَ في أَثْناءِ بَحْثِهِ عَنْ كُنوزِ الْمَلِكِ سُلَيْمانَ. وَقَدْ تَمَكَّنَ دَليلُهُ الأَمينُ مِنَ الْعَوْدَةِ إلى الْجَنوبِ حَيْثُ كانَتْ تَعيشُ الأُسْرَةُ، وَسَلَّمَ الْوَثائِقَ السِّرِّيَّةَ إلى أَصْحابِها. خُذْها، يا سَيِّدُ. لٰكِنِ اسْتَخْدِمْها أَنْتَ نَفْسُكَ. لَعَلَّكَ تُصْبِحُ يَوْمًا أَغْنى أَغْنِياءِ الأَرْضِ.»

أَخْرَجْتُ مِنْ جَيْبي نُسْخَتَيْنِ مِنَ الْوَثيقَتَيْنِ مُلَطَّخَتَيْنِ بِالدُّهْنِ وَسَلَّمْتُهُما إلى الأَيْدي الْمُتَلَهِّفَةِ الَّتي مَدَّها السِّير هِنْري وَمُرافِقُهُ.

قُلْتُ مُضيفًا: «الْوَثيقَتانِ الأَصْلِيَّتانِ، وَهُما عَلى قُماشٍ كَتّانِيٍّ باهِتٍ، مَحْفوظَتانِ في مَكانٍ آمِنٍ.»

بِيَدَيْنِ مُرْتَعِشَتَيْنِ تَناوَلَ السَّيرِ هَنْرِي الْخَرِيطَةَ وَالرِّسالَةَ، وَقَرَأَ ما يَأْتي:

«أَنا، جوزيه دي سِلْفِسْتَر، أُشْرِفُ عَلى الْمَوْتِ جوعًا في كَهْفٍ صَغيرٍ عِنْدَ أَقْصى جَنوبِ الْجَبَلِ الَّذي سَمَّيْتُهُ أُذُنَيْ سَبأ. أَكْتُبُ هٰذا في الْعامِ ١٥٩٠ بِعَظْمَةٍ أَغْمِسُها في دَمي وَعَلى قِطْعَةٍ مِنْ ثِيابي. إِذا قُدِّرَ لِدَليلي الْأَمينِ أَنْ يَنْجَحَ في إيصالِ هٰذِهِ الرِّسالَةِ إِلى أُسْرَتي، فَإِنَّها سَتُريهِمْ كَيْفَ يَسْتَطيعُ مُسْتَكْشِفٌ جَرِيءٌ أَنْ يَصِلَ إِلى بِلادِ كوكْوانا وَيَحْظى بِثَرْوَةٍ لا تُوصَفُ مِنَ الْماسِ الْمُخَبَّأِ في حُجْرَةِ كُنوزِ الْمَلِكِ سُلَيْمانَ.

«لَقَدْ رَأَيْتُ هٰذِهِ الْكُنوزَ وَلَمَسْتُها، وَلٰكِنّي، بِسَبَبِ ما لَقيتُ مِنْ غَدْرِ السّاحِرَةِ غاغولَ، قَدْ لا أَخْرُجُ مِنْ هُنا حَيًّا وَأَرْوي حِكايَتي. لِيَتْبَعِ الْباحِثُ عَنْ هٰذا الْكَنْزِ الْخَريطَةَ، وَيَتَسَلَّقْ ثُلوجَ أُذُنِ سَبَأ الْيُسْرى، وَيَأْخُذْ طَريقَ سُلَيْمانَ ثَلاثَةَ أَيّامٍ، إِلى أَنْ يَصِلَ إِلى الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ. وَهُناكَ، وَراءَ الْمَوْتِ الْأَبْيَضِ، يَجِدُ حُجْرَةَ الْكُنوزِ. وَلْيَقْتُلِ السّاحِرَةَ الشِّرّيرَةَ غاغولَ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ طَريقَ الْعَوْدَةِ. صَلّوا مِنْ أَجْلي. وَوَداعًا!»

جوزيه دي سِلْفِستَر

وَكانَ مَعَ الرِّسالَةِ خَريطَةٌ.

تَفَحَّصَ السَّيرِ هَنْرِي وَالْقُبْطانُ غود الرِّسالَةَ وَالْخَريطَةَ بِضْعَ دَقائِقَ صامِتَيْنِ. قالَ بَعْدَها السَّيرِ هَنْرِي:

«هٰذِهِ حِكايَةٌ غَريبَةٌ أَكادُ لا أُصَدِّقُها. عَلى أَيِّ حالٍ، فَإِنَّ واجِبي الْأَوَّلَ، أَيُّها السّادَةُ، هُوَ أَنْ أَتَتَبَّعَ خُطُواتِ أَخي فَأَجِدَهُ أَوْ أَعْلَمَ عَلى وَجْهِ الْيَقينِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ. لَعَلَّ الطَّريقَ الَّتي آخُذُها تَحْمِلُني أَيْضًا إِلى كُنوزِ الْمَلِكِ سُلَيْمانَ - مَنْ يَعْلَمُ؟ أَتَرْغَبانِ في مُرافَقَتي؟»

في ذٰلِكَ الْمَساءِ تَحَدَّثْنا، أَنا وَالْقُبْطانُ غود، في الْمَسْأَلَةِ وَقَرَّرْنا أَنْ نَضَعَ يَدَنا في يَدِ ذٰلِكَ الرَّجُلِ الْجَسورِ. وَعِنْدَما أَطْلَعْناهُ عَلى قَرارِنا، أَبْدى صَديقُنا ابْتِهاجَهُ بِأَنْ يَكونَ في صَفِّهِ رَجُلانِ ثابِتا الْعَزْمِ، وَجَلَسْنا ثَلاثَتُنا نَضَعُ مُخَطَّطَنا.



عِنْدَما رَسَتْ سَفينَتُنا في دُرْبان دَعَوْتُ صَديقَيَّ إلى أَنْ يُقيما في مَنْزِلي في الْوَقْتِ الَّذي نَقومُ فيهِ بِالْإِعْدادِ لِحَمْلَتِنا. لَقَدْ تَوَلّى الْقُبْطانُ غود مُهِمَّةَ التَّمْوينِ، وَسُرْعانَ ما كانَ لَدَيْنا كَمِّيّاتٌ وافِرَةٌ مِنَ الْمَوادِّ الْغِذائِيَّةِ، وَمَجْموعَةٌ ضَخْمَةٌ مِنَ الْبَنادِقِ وَالْمُسَدَّساتِ وَالذَّخيرَةِ. وبَراميلِ الْمِياهِ. وَاشْتَرَيْنا، أَخيرًا، عَرَبَتَيْنِ قَوِيَّتَيْنِ وَعِشْرينَ ثَوْرًا. وَاسْتَأْجَرْنا عَدَدًا مِنَ السَّوّاقينَ وَالْحَمّالينَ وَالْأَدِلّاءِ مِنْ ذَوي الْبَشاشَةِ.

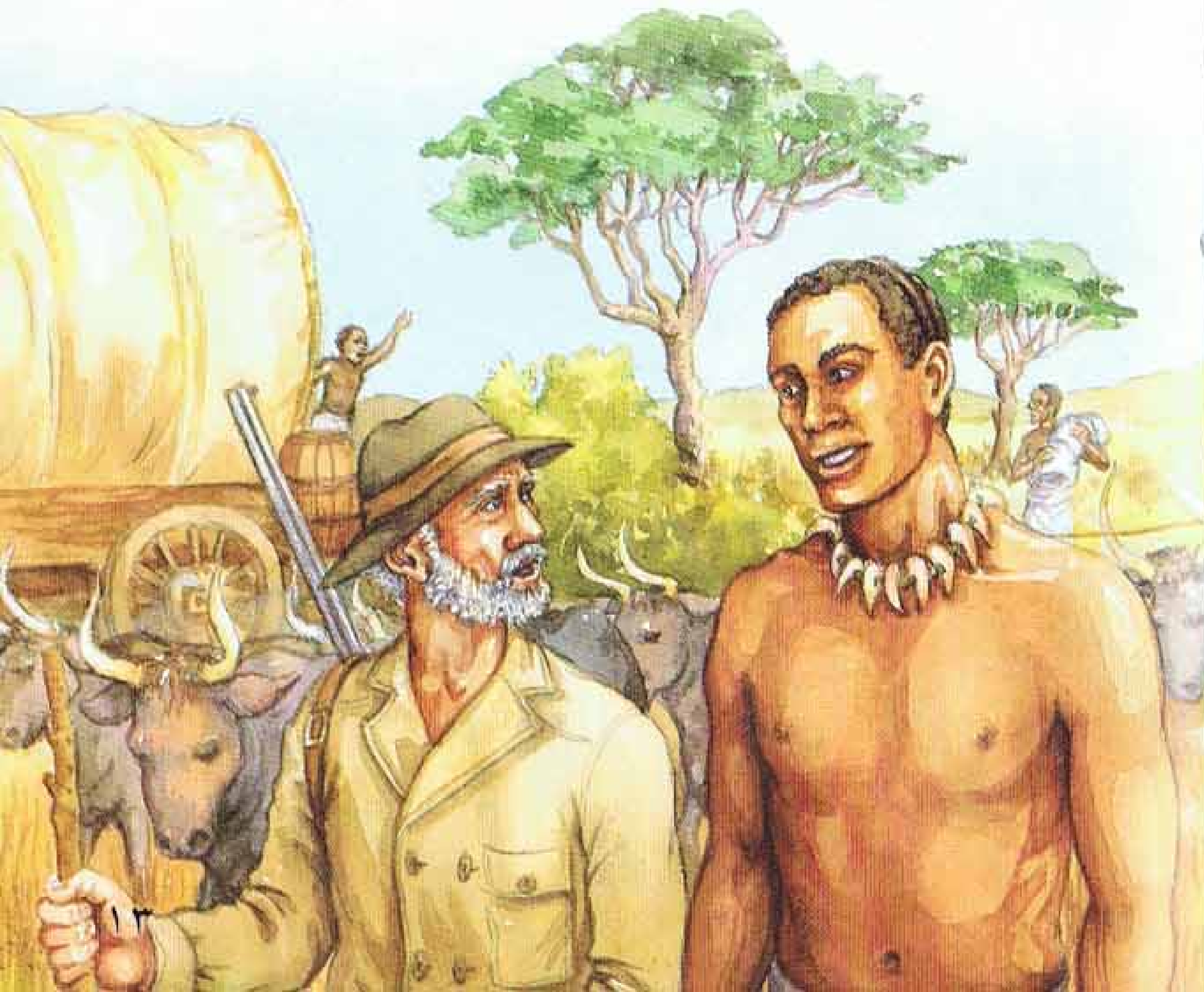
وَكانَ مِنْ هؤُلاءِ الطَّيِّبينَ السَّوّاقانِ الدَّليلانِ غوزا وَطوم، وَالصَّيّادانِ الْمَرِحانِ كيڤا وَڤنتفوغِل. وَاكْتَمَلَ الرَّكْبُ بِنَفَرٍ قَليلٍ مِنَ الْحَمّالينَ.

وَفي لَيْلَةِ الشُّروعِ بِالْحَمْلَةِ جاءَني مُدَبِّرُ الْمَنْزِلِ يَقولُ إِنَّ رَجُلًا ذا شَأْنٍ مِنْ رِجالِ قَبيلَةِ الزّولو اسْمُهُ أُمْبوبا يَرْغَبُ في رُؤْيَتي. كانَ زائِرُنا طَويلًا، يُضاهي السّير هَنْري طولًا، وَيُضاهيهِ، كَما تَبَيَّنَ لَنا فيما بَعْدُ، صَلابَةً وَبَأْسًا. لَقَدْ كانا حَقًّا رَجُلَيْنِ فَذَّيْنِ. وَكانَ



زائِرُنا قَدْ سَمِعَ أَنَّنا نَنْوي الِاتِّجاهَ شَمالًا فَأَبْدى رَغْبَتَهُ في مُرافَقَتِنا. وَسُرْعانَ ما عَرَفْنا أَنَّ الرَّجُلَ زَعيمٌ جَسورٌ مِنْ زُعَماءِ الزّولو. فَأَسْعَدَنا أَنْ نَضُمَّهُ إلى فَريقِنا وَوَضَعْنا تَحْتَ إِمْرَتِهِ سائِرَ الرِّجالِ الْمُرافِقينَ.

شَرَعْنا في رِحْلَتِنا صَباحَ الْيَوْمِ التّالي، وَهُوَ الْيَوْمُ الثّامِنُ وَالْعِشْرونَ مِنْ كانونَ الثّاني (يَنايِرَ) عامَ ١٨٧٨. كانَتْ بِدايَةً مُشَوِّقَةً، وَلكِنْ سُرْعانَ ما تَباطَأَ تَقَدُّمُنا، وَسْطَ مَشَقّاتٍ وَصُعوباتٍ. وَلَمْ نَصِلْ إلى قَرْيَةِ سيتانْدا عَلى نَهْرِ لوكانْغا، وَهِيَ الَّتي تَبْعُدُ مَسافَةَ أَلْفِ ميلٍ عَنِ الْمَكانِ الَّذي انْطَلَقْنا مِنْهُ، إِلّا في الْعاشِرِ مِنْ شَهْرِ أَيّارَ (مايو) أَيْ بَعْدَ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ وَنِصْفِ الشَّهْرِ مِنَ السَّفَرِ الشّاقِّ. وَتِلْكَ الْقَرْيَةُ سيتانْدا سوقٌ تِجارِيَّةٌ وَهِيَ عَيْنُها الْقَرْيَةُ الَّتي كُنْتُ، قَبْلَ سِنينَ، قَدِ الْتَقَيْتُ فيها ذلِكَ الرَّجُلَ الْمُشْرِفَ عَلى الْمَوْتِ جوزيه دي سِلْڤِسْتَر وَأَحَطْتُهُ بِعِنايَتي.

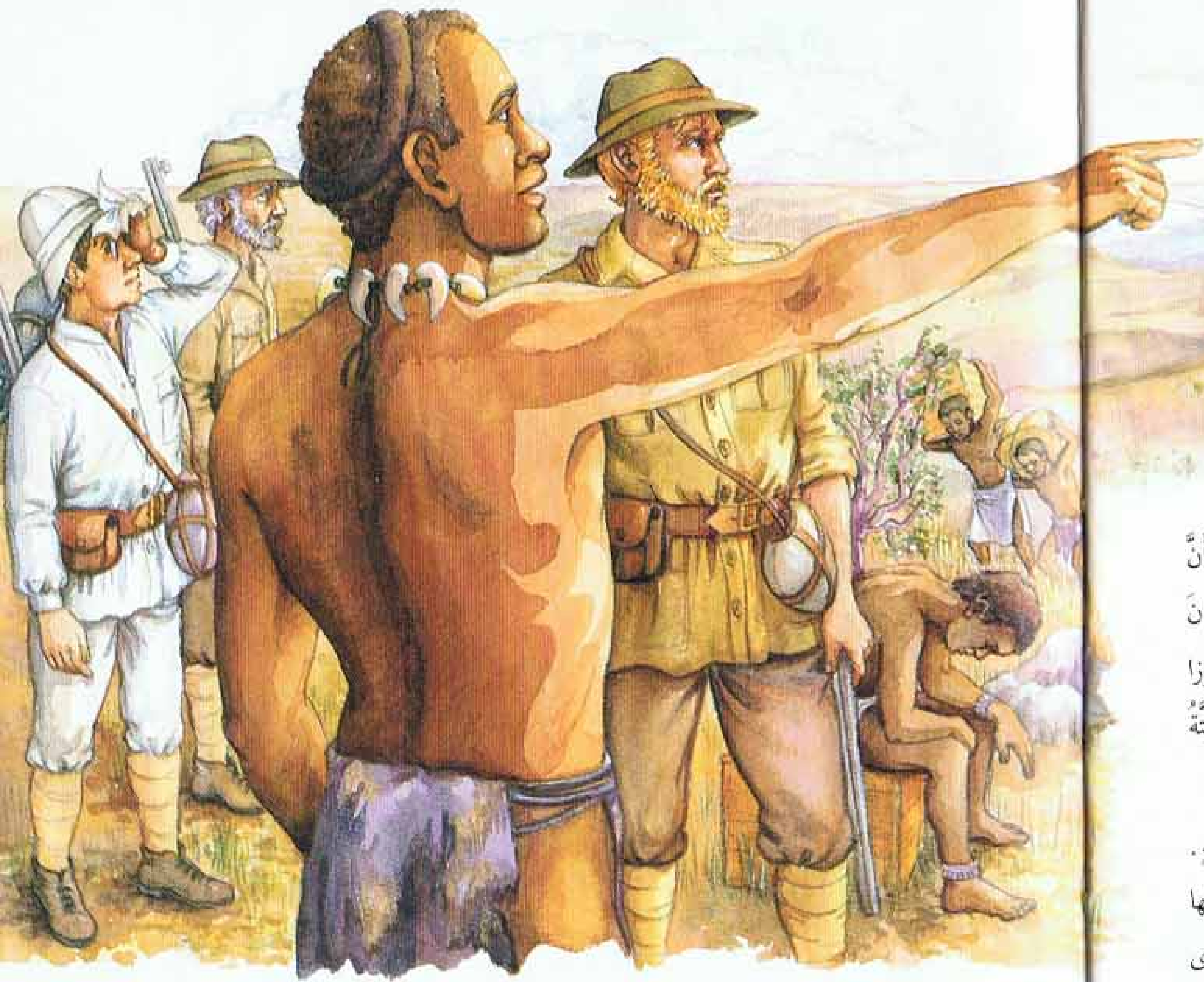


هُنا كُنّا قَدْ أَشْرَفْنا عَلى الْحُدودِ الشَّمالِيَّةِ لِمِنْطَقَةِ ماتابيل. وَشاءَ سوءُ الْحَظِّ أَنْ نُقَدِّرَ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حانَ لِنَتْرُكَ وَسائِلَ مُواصَلاتِنا وَراءَنا، وَنَتَقَدَّمَ بَعْدَ ذٰلِكَ راجِلينَ. وَهٰكَذا كانَ أَنْ تَرَكْنا عَرَبَتَيْنا وَالِاثْنَيْ عَشَرَ ثَوْرًا الَّتي بَقِيَتْ بَعْدَ مَشَقّاتِ الرِّحْلَةِ وَالسّائِقَيْنِ الْمُؤْتَمَنَيْنِ غوزا وَطوم. ثُمَّ انْطَلَقْنا راجِلينَ عَبْرَ صَحْراءَ لافِحَةٍ. يُرافِقُنا أُمْبوبا وَكيفا وَفَنْتفوغِل وَسِتَّةُ حَمّالينَ.

وَصَلْنا بَعْدَ أُسْبوعَيْنِ إِلى تَلَّةٍ صَغيرَةٍ مُسْتَعْلِيَةٍ في تِلْكَ الصَّحْراءِ وَتَسَلَّقْناها بِجَهْدٍ جَهيدٍ. وَمِنْ أَعْلى تِلْكَ التَّلَّةِ رُحْنا نُحَدِّقُ بِعَجَبٍ إِلى سِلْسِلَةٍ مِنَ التِّلالِ الْبَعيدَةِ، تَبْدو لِلنّاظِرِ إِلَيْها أَشْبَهَ بِحاجِزٍ يَحْمي ما وَراءَها مِنْ بِقاعٍ مَجْهولَةٍ. وَكانَ في وُسْعِنا أَنْ نَرى في إِحْدى النَّواحي جَبَلَ سُلَيْمانَ وَقَدْ أَطَلَّ مِنْ بَعيدٍ، مُشْرَئِبًّا فَوْقَ التِّلالِ الْحاجِزَةِ، كَطَيْفٍ أَزْرَقَ باهِتٍ مُكَلَّلٍ بِالثُّلوجِ.

كَسَرَ أُمْبوبا طَوْقَ الصَّمْتِ، قائِلًا: «ذاكَ، يا سير هِنْري، هُوَ الْجِدارُ الَّذي يُحيطُ بِكُنوزِ الْمَلِكِ سُلَيْمانَ. وَلٰكِنْ هَلْ يُقَدَّرُ لَنا أَنْ نَتَسَلَّقَهُ؟ عِلْمُ ذٰلِكَ عِنْدَ اللهِ.»

دَبَّتْ بِنا الرَّهْبَةُ وَرُحْنا نُحَدِّقُ في ذٰلِكَ الْجَبَلِ. وَكانَ أُمْبوبا أَشَدَّنا تَأَمُّلًا. وَبَعْدَ حينٍ قالَ: «لَعَلَّكَ، يا سَيِّدي، واجِدٌ أَخاكَ هُناكَ.» ثُمَّ أَضافَ بِصَوْتٍ هادِئٍ: «وَأَنا أَيْضًا أَبْحَثُ عَنْ أَخٍ لي وَراءَ تِلْكَ الْجِبالِ.»



اِقْتَرَبْنا مِنْ جِبالِ سُلَيْمانَ، مُخَلِّفينَ الصَّحْراءَ وَراءَ ظُهورِنا. ثُمَّ شَرَعْنا نَتَسَلَّقُ الْمُنْحَدَراتِ الْبُرْكانِيَّةَ لِقِمَّةِ أُذُنِ سَبأَ الْيُسْرى. وَهُنا نَفِدَ مِنّا الْماءُ. لٰكِنَّنا وَقَعْنا عَلى بَعْضِ ثِمارِ الْبِطّيخِ الْبَرِّيَّةِ. وَكانَتْ فاكِهَةً غَيْرَ شَهِيَّةٍ لٰكِنَّها أَنْقَذَتْ حَياتَنا. تابَعْنا طَريقَنا نَحْوَ الْقِمَّةِ، وَوَجَدْنا أَنْفُسَنا نَتَسَلَّقُ بِقاعًا تَكْسوها الثُّلوجُ. وَبَيْنَما نَحْنُ نُجاهِدُ في تَسَلُّقِ سَفْحٍ شَديدِ الِانْحِدارِ تَوَقَّفَ غود فَجْأَةً، وَقالَ لاهِثًا: «أَقولُ، لا بُدَّ أَنَّنا في مَكانٍ قَريبٍ مِنَ الْكَهْفِ الَّذي جاءَ ذِكْرُهُ في رِسالَةِ سِلْفِسْتَر الْجَدِّ.»

قالَ السّير هِنْري: «نَعَمْ. وَإِذا لَمْ نَجِدِ الْكَهْفَ عَمّا قَريبٍ، سَنَموتُ بَرْدًا.»

تَوَقَّفَ أُمْبوبا فَجْأَةً، وَهَتَفَ: «أُنْظُرْ، يا سَيِّدي!» وَهُناكَ عِنْدَ أَسْفَلِ إِحْدى أُذُنَيْ سَبأَ، عَلى بُعْدِ نَحْوِ مِئَةِ مِتْرٍ مِنّا، رَأَيْنا فُتْحَةَ الْكَهْفِ الْمُعْتِمَةَ.

كانَتْ عِظامُنا قَدْ تَصَلَّبَتْ وَتَجَمَّدَتْ بَرْدًا، فَجَرَرْنا أَنْفُسَنا وَرُحْنا نَزْحَفُ إِلى حِمى الْكَهْفِ طَلَبًا لِلدِّفْءِ. كانَ فَنْتفوغِل الْمِسْكينُ يُشْرِفُ عَلى الْهَلاكِ. وَفي ساعاتِ الصَّباحِ الْأُولى، وَكُنْتُ إِلى جانِبِهِ، أَسْلَمَ الرّوحَ.

عِنْدَ انْبِلاجِ الصَّباحِ تَسَلَّلَتِ الشَّمْسُ إِلى داخِلِ الْكَهْفِ. فَجْأَةً سَمِعْتُ صَرْخَةَ رُعْبٍ حادَّةً. وَعَلى بُعْدِ عَشَرَةِ أَمْتارٍ مِنّا رَأَيْنا جُثَّةً يابِسَةً. كانَ ذٰلِكَ فَوْقَ ما نَحْتَمِلُ. فَأَسْرَعْنا كُلُّنا نَخْرُجُ مِنَ الْكَهْفِ إِلى هَواءِ الْجَبَلِ الْجَليدِيِّ.

وَبَعْدَ حينٍ عادَ السَّير هَنْري وَالْقُبْطانُ إِلى الْكَهْفِ لِيَسْتَقْصِيا الْأَمْرَ.

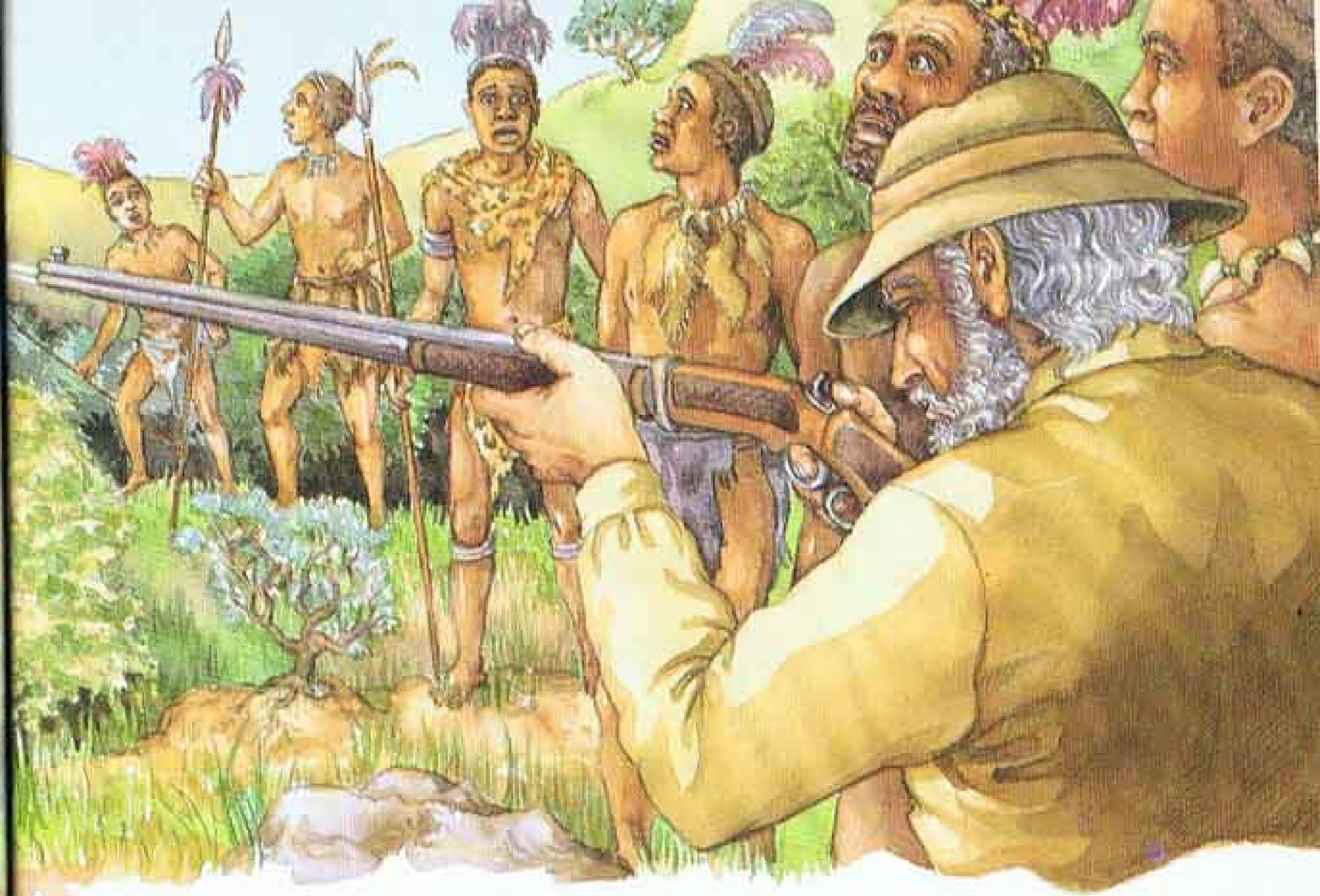
قالَ السَّير هَنْري: «نَعَمْ، إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ مُذْهِلٌ حَقًّا! إِنَّها جُثَّةُ الْجَدِّ سِلْفِسْتَرَ الَّذي ماتَ قَبْلَ نَحْوِ ثَلاثِمِئَةِ سَنَةٍ. لَقَدْ حَفِظَ الْبَرْدُ الْقارِسُ جُثَّتَهُ.»

تَرَكَتْ فينا هٰذِهِ الْأَحْداثُ أَثَرَها الْبالِغَ فَجَمَعْنا حَوائِجَنا وَانْطَلَقْنا في وُجْهَتِنا، مُخَلِّفينَ وَراءَنا سِلْفِسْتَرَ الْجَدَّ وَمُرافِقَهُ الْجَديدَ، فَنْتفوغِلَ الْمِسْكينَ، لِراحَتِهِما الْأَبَدِيَّةِ.

كانَ الْبَرْدُ قَدْ خَدَّرَ أَجْسادَنا وَأَوْهاها الْجوعُ. لٰكِنْ عِنْدَ حافَةِ الْجَبَلِ الْبَعيدَةِ، حَيْثُ كانَ الضَّبابُ قَدْ بَدَأَ يَنْقَشِعُ، رَأَيْنا ما أَعادَ الْأَمَلَ إِلى قُلوبِنا. فَقَدْ كانَ أَمامَنا في مُنْحَدَرٍ قَريبٍ عُشْبٌ أَخْضَرُ، وَعِنْدَ جَدْوَلِ ماءٍ رَأَيْنا قَطيعًا مِنَ الْغِزْلانِ. أَمْسَكْنا بَنادِقَنا، وَصَوَّبْنا تَصْويبًا دَقيقًا، فَقَدْ كانَتْ حَياتُنا تَتَوَقَّفُ عَلى دِقَّتِنا في التَّصْويبِ. أَطْلَقْنا النّارَ – وَسَقَطَ غَزالٌ أَرْضًا. وَعَلى الرُّغْمِ مِنْ ضَعْفِنا، انْدَفَعْنا في الْمُنْحَدَرِ، وَما هِيَ إِلّا دَقائِقُ حَتّى كُنّا قَدْ وَصَلْنا إِلى صَيْدِنا. وَرُحْنا في أَثْناءِ تَناوُلِنا الطَّعامَ، نَتَلَفَّتُ حَوْلَنا فَرَأَيْنا بِلادًا لَمْ نَرَ مِنْ قَبْلُ أَجْمَلَ مِنْها. فَعَلى انْخِفاضِ أَلْفَيْ مِتْرٍ تَحْتَنا رَأَيْنا مُروجًا خَضْراءَ غَنِيَّةً وَغاباتٍ كَثيفَةً، وَنَهْرًا – وَطَريقَ سُلَيْمانَ الْعَظيمَ.

وَكانَ ذٰلِكَ هُوَ الطَّريقَ الَّذي سَلَكْناهُ حَتّى الظُّهْرِ، فَعَبَرْنا جِسْرًا وَاجْتَزْنا مَمَرًّا نُقِشَتْ عَلى جانِبَيْهِ أَشْكالٌ غَريبَةٌ لِمَعْرَكَةٍ.





جَلَسْنا عِنْدَ جَدْوَلِ ماءٍ صَغيرٍ نَسْتَريحُ. وَأَخَذَ غود يَغْتَسِلُ وَيَحْلِقُ ذَقَنَهُ. كانَ قَدْ أَتَمَّ حَلْقَ جانِبٍ واحِدٍ مِنْ وَجْهِهِ، عِنْدَما رَأَيْتُ وَميضَ رُمْحٍ يَلْمَعُ طائِرًا فَوْقَ رَأْسِهِ. فَقَفَزَ غود مِنْ مَكانِهِ مُتَمْتِمًا، وَالْتَفَتْنا كُلُّنا فَرَأَيْنا نَفَرًا مِنْ رِجالٍ طِوالٍ نُحاسِيِّي الْبَشَرَةِ يَتَقَدَّمونَ مِنّا صامِتينَ.

خاطَبَنا أُولٰئِكَ الرِّجالُ بِلَهْجَةٍ قَديمَةٍ مِنْ لَهَجاتِ قَبائِلِ الزّولو، فَهِمْناها أَنا وَأُمْبوبا. وَقَدْ هَدَّدوا بِقَتْلِنا قِصاصًا لَنا عَلى دُخولِنا مِنْطَقَتَهُمْ. وَعِنْدَما تَرْجَمْتُ ما هَدَّدونا بِهِ، اضْطَرَبَ غود وَراحَ يُحَرِّكُ أَسْنانَهُ الاِصْطِناعِيَّةَ. فَجَفَلَ الرِّجالُ وَبَدَرَتْ عَنْهُمْ صَرْخَةُ ذُعْرٍ. فَخَطَرَتْ لي فِكْرَةٌ. رَفَعْتُ بُنْدُقِيَّتي وَصَوَّبْتُها إلى ظَبْيٍ كانَ واقِفًا عَلى صَخْرَةٍ قَريبَةٍ وَأَطْلَقْتُ النّارَ. لَقَدْ كانَ لِهٰذا الْعَمَلِ الْباهِرِ، إلى جانِبِ ما رَأَوْهُ مِنْ أَسْنانِ غود الْمُتَحَرِّكَةِ، أَثَرُهُ في الرِّجالِ الَّذينَ ظَنّوا أَنَّ لَدَيْنا قُوًى سِحْرِيَّةً. وَعِنْدَما طَلَبْنا مِنْهُمْ أَنْ يَأْخُذونا إلى مَلِكِهِمْ أَذْعَنوا بِإِجْلالٍ.

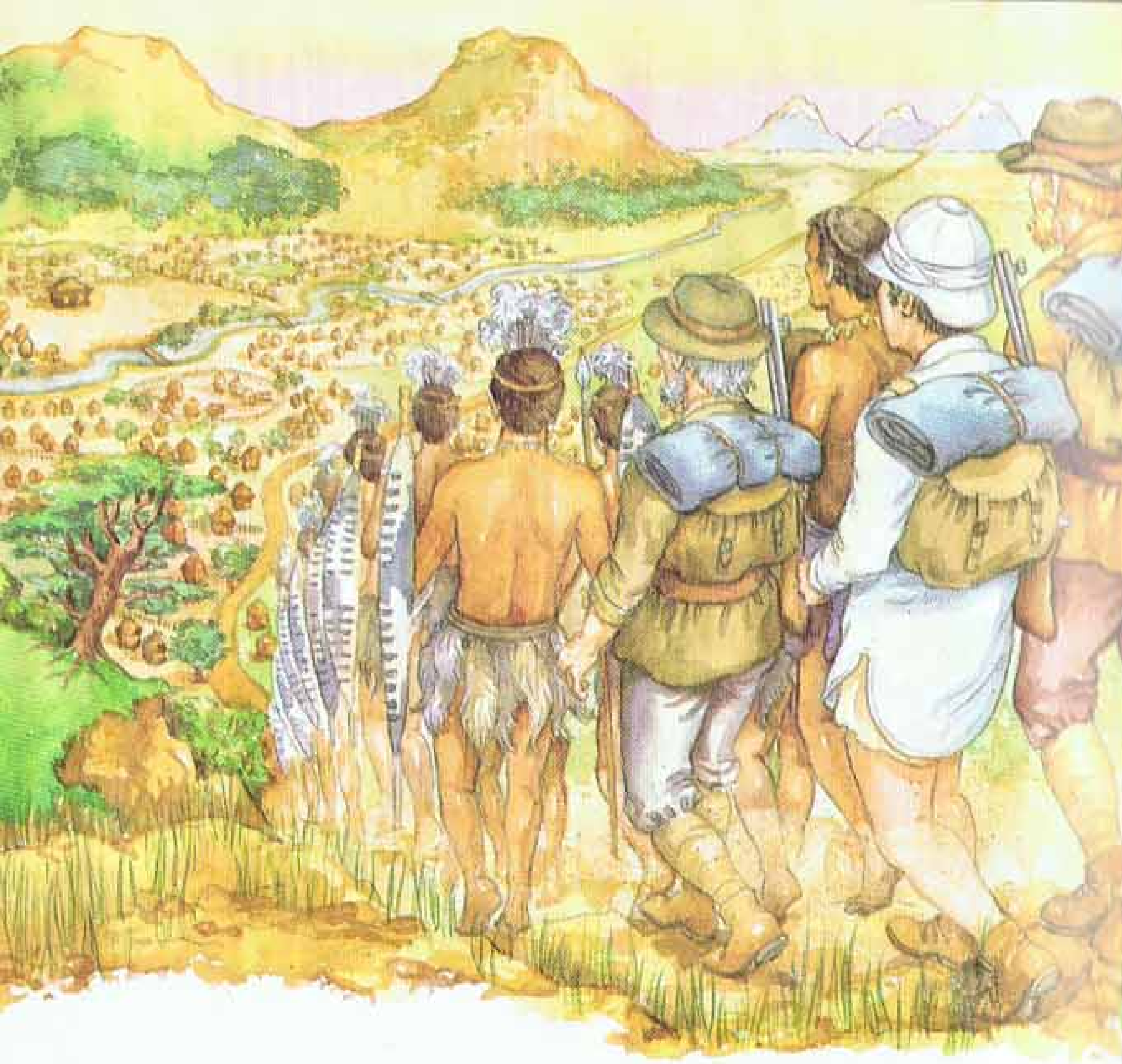
في أَثْناءِ الطَّريقِ سَأَلْتُ زَعيمَ الْجَماعَةِ، وَكانَ يُدْعى إنْفادوس، بِضْعَةَ أَسْئِلَةٍ. وَقَدْ أَخْبَرَني أَنَّ حَرْبًا أَهْلِيَّةً نَشِبَتْ في قَبيلَتِهِمْ كوكْوانا قَبْلَ سِنينَ عَديدَةٍ. في تِلْكَ الْحَرْبِ انْتَزَعَ طْوالا، الْمَلِكُ الْحالِيُّ، السُّلْطَةَ مِنْ أَخيهِ إيموتو. وَفَرَّتْ زَوْجَةُ إيموتو بِابْنِها الْفَتى. لٰكِنْ يُظَنُّ أَنَّ الْمَرْأَةَ وَابْنَها ماتا في الْجِبالِ. لاحَظْتُ، وَأَنا أَسْتَمِعُ إلى قِصَّةِ إنْفادوس، أَنَّ شَخْصًا آخَرَ كانَ يُنْصِتُ بِاهْتِمامٍ بالِغٍ إلى كَلِماتِهِ. كانَ ذٰلِكَ هُوَ أُمْبوبا الَّذي كانَ يَتَأَثَّرُ خُطُواتِنا.



بُعَيْدَ الظُّهْرِ كُنّا قَدِ اقْتَرَبْنا مِنْ قَرْيَةٍ ، وَرَأَيْنا الرِّجالَ يَخْرُجونَ مِنْ بَوّاباتِها لِتَحِيَّتِنا أَفْواجًا . فَقَدْ كانَ نَبَأُ ما حَدَثَ قَدْ ذاعَ . كانوا يَحْمِلونَ رِماحًا بَرّاقَةً وَيُزَيِّنونَ رُؤوسَهُمْ بِريشٍ رَماديٍّ وَيَمْشونَ فَتَهْتَزُّ لِمِشْيَتِهِمِ الْأَرْضُ . لَقَدْ كانَ مَشْهَدًا رائِعًا حَقًّا .

وَصَلْنا عِنْدَ الْغُروبِ الْعاصِمَةَ ، لو ، وَكانَتْ مُسْتَوْطَنَةً بَديعَةً يَبْلُغُ مُحيطُها خَمْسَةَ أَمْيالٍ . وَرَأَيْنا النّاسَ عِنْدَ مَداخِلِ أَكْواخِهِمْ يُحَدِّقونَ بِنا ، وَيُحَدِّقونَ خُصوصًا بِالْقُبْطانِ ذي النَّظّارَةِ الزُّجاجِيَّةِ .

وَخَلْفَ لو انْتَصَبَتْ ثَلاثَةُ جِبالٍ ذاتِ أَشْكالٍ غَريبَةٍ . قالَ إِنْفادوس : «هُناكَ نِهايَةُ الطَّريقِ . وَهُناكَ يَرْقُدُ الْمَوْتَى مِنْ مُلوكِنا في دارِ الْمَوْتِ .»



الْتَفَتُّ إِلى رِفاقي وَقُلْتُ لَهُمْ : «وَهُناكَ سَنَجِدُ كُنوزَ الْمَلِكِ سُلَيْمانَ !»

فَإِذا بِأُمْبوبا يَقولُ : «نَعَمْ ، فَالْماسُ هُناكَ ، وَلَسَوْفَ يَكونُ لَكُمْ !»

كُنْتُ قَدْ بَدَأْتُ أَنْظُرُ إِلى أُمْبوبا نَظْرَةَ ارْتِيابٍ ، فَأَسْرَعْتُ أَقولُ لَهُ : «وَكَيْفَ تَعْرِفُ ذٰلِكَ ؟»

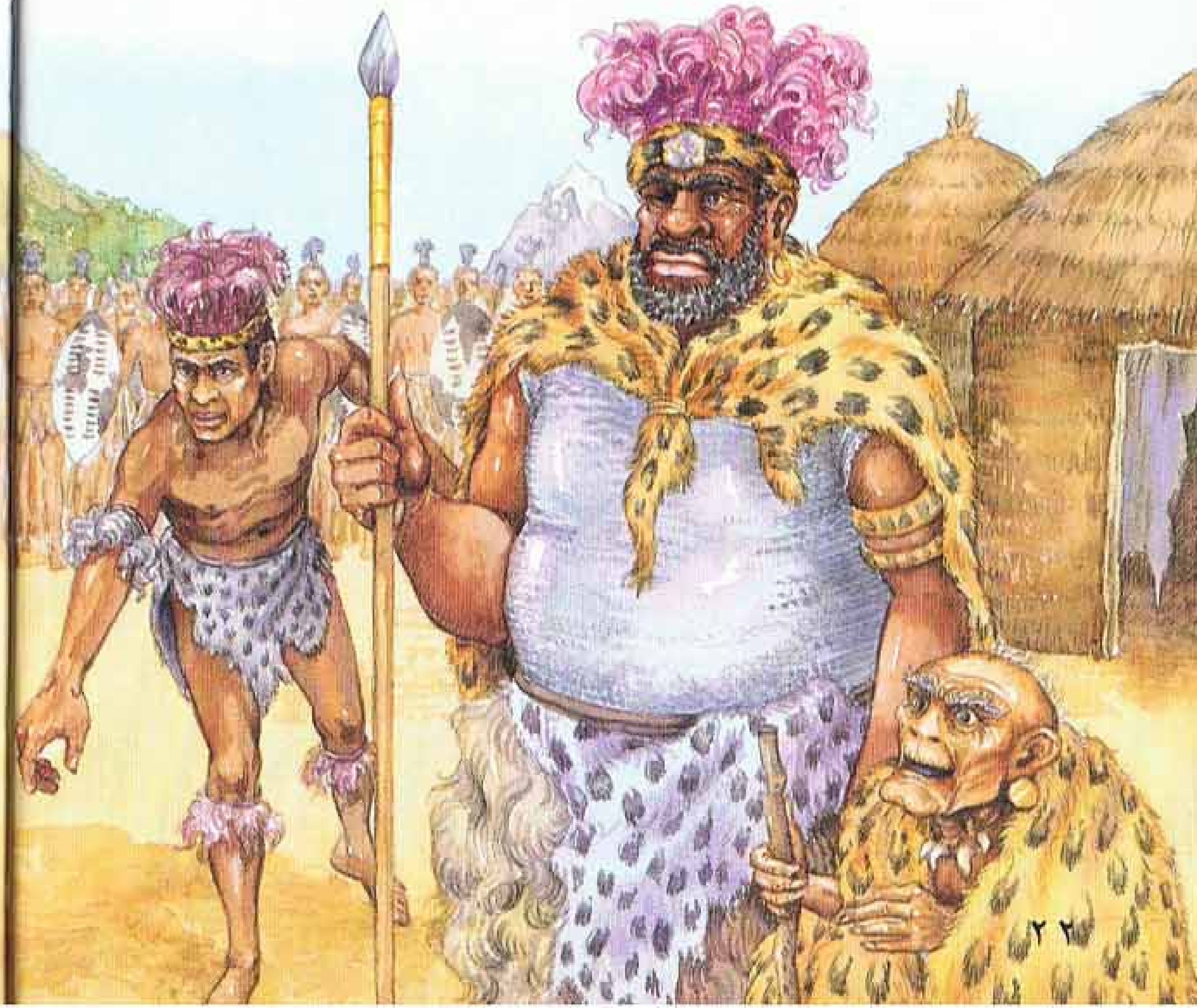
أَجابَ ضاحِكًا : «رَأَيْتُهُ في نَوْمي !»

نِمْنا تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، حِفاظًا عَلى سَلامَتِنا ، في كوخٍ واحِدٍ ، وَقَدْ أَنْهَكَنا السَّفَرُ الطَّويلُ .

اِسْتَقْبَلَنا الْمَلِكُ طْوالا في الصَّباحِ. وَكانَ أَمامَ الْكوخِ الْمَلَكِيِّ ساحَةٌ واسِعَةٌ تَمْلَأُها مَجْموعاتٌ مِنَ الْمُحارِبينَ ذَوي الرّيشِ الرَّمادِيِّ يَقِفونَ ساكِنينَ لا تَخْتَلِجُ لَهُمْ عَضَلَةٌ وَكَأَنَّهُمْ قُدّوا مِنْ صَخْرٍ. اِنْتَظَرْنا في ذٰلِكَ الصَّمْتِ الْمُطْبَقِ عَشْرَ دَقائِقَ أَوْ يَزيدُ؛ ثُمَّ بَرَزَ مِنَ الْكوخِ رَجُلٌ عِمْلاقٌ، هُوَ الْمَلِكُ طْوالا، يُرافِقُهُ ابْنُهُ سْكراغا وَشَخْصٌ قَميءٌ مُنْكَمِشٌ أَشْبَهُ بِقِرْدٍ.

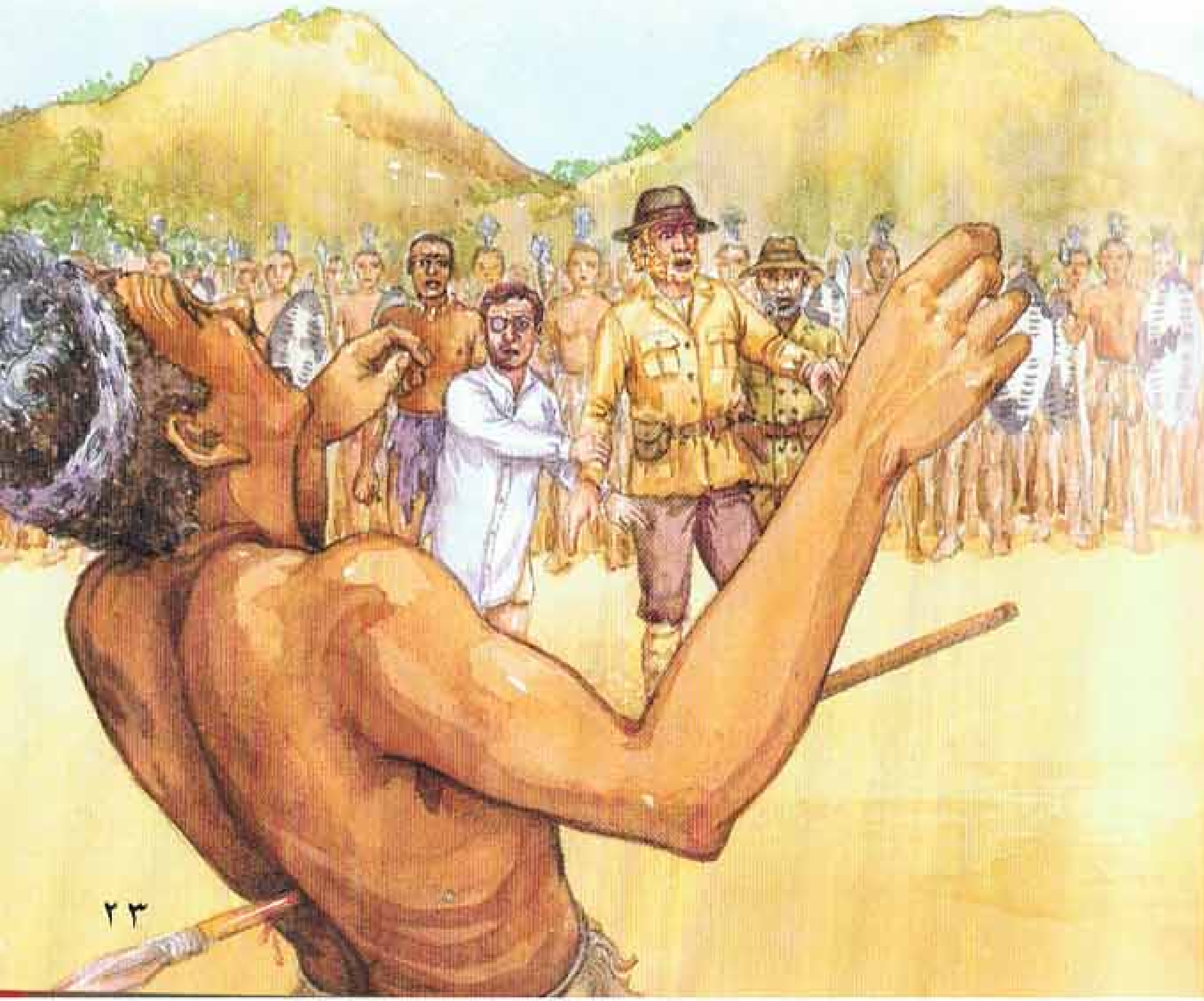
كانَ طْوالا ذا هَيْئَةٍ مُرْعِبَةٍ. وَلَقَدْ زادَ في تَشْويهِ وَجْهِهِ الْمُرْعِبِ الشِّرّيرِ فِقْدانُهُ إِحْدى عَيْنَيْهِ. وَكانَ عَلى جَبينِهِ ماسَةٌ ضَخْمَةٌ وَفي يَدِهِ حَرْبَةٌ ثَقيلَةٌ.

صاحَ الشَّخْصُ الْقَميءُ الشَّبيهُ بِالْقِرْدِ بِصَوْتٍ حادٍّ: «أَيُّها النّاسُ، أَطيعوا! إِنَّهُ الْمَلِكُ!»



اِنْطَلَقَتْ حَناجِرُ ثَمانِيَةِ آلافِ مُحارِبٍ في صَيْحَةٍ واحِدَةٍ تَحِيَّةً. وَلَمْ يُعَكِّرِ الصَّمْتَ الْمُطْبَقَ الَّذي تَلا تِلْكَ الصَّيْحَةَ إِلّا قَرْقَعَةُ دِرْعٍ أَوْقَعَها مُحارِبٌ عَفْوًا. كانَتْ تِلْكَ جَريمَةً لا تُغْتَفَرُ، وَرَأَيْنا الرَّجُلَ الْمَنْكودَ الْحَظِّ يُقْتَلُ أَمامَ أَعْيُنِنا. لَقَدْ أَغْضَبَ ذٰلِكَ الِاسْتِهْتارُ بِحَياةِ الْبَشَرِ السَّيرَ هَنْري، وَأَسْرَعْنا نَحُثُّهُ عَلى أَنْ يَتَمالَكَ غَضَبَهُ.

اِلْتَفَتَ طْوالا عِنْدَئِذٍ إِلَيْنا. وَلَمْ يَكُنْ قَدْ صَدَّقَ أَنَّ لَدَيْنا قُوًى خارِقَةً. وَتَحَدّانا أَنْ نُطْلِقَ النّارَ، إِثْباتًا لِقُوانا السِّحْرِيَّةِ، عَلى أَحَدِ رِجالِهِ. لٰكِنَّنا أَكَّدْنا لَهُ أَنَّنا لا نَسْتَهْتِرُ بِحَياةِ النّاسِ، وَأَطْلَقْنا النّارَ، عِوَضًا عَنْ ذٰلِكَ، عَلى ثَوْرٍ كانَ قَريبًا مِنّا فَوَقَعَ أَرْضًا. وَبَدا الْمَلِكُ عِنْدَئِذٍ مُقْتَنِعًا بِما نَدَّعي.



لكِنَّ الشَّخْصَ الشَّبيهَ بِالْقِرْدِ نَهضَ عِنْدَئِذٍ، وَراحَ يَتَكَلَّمُ. وَعِنْدَما سَمِعْنا الصَّوْتَ أَحْسَسْنا بِالدِّماءِ تَجْمُدُ في عُروقِنا. لَقَدْ كانَ ذٰلِكَ الْمَخْلوقُ الْعَجيبُ امْرَأَةً طاعِنَةً في السِّنِّ، أَشْبَهَ بِساحِرَةٍ، فَطْساءَ الأَنْفِ. غارَ فَمُها في تَجاعيدَ صَفْراءَ، وَتَجَعَّدَتْ بَشَرَتُها فَوْقَ عِظامِها وَجُمْجُمَتِها الْعارِيَةِ مِنَ الشَّعْرِ.

كانَتْ تَصْرُخُ: «دَمٌ! دَمٌ! أَنْهارٌ مِنَ الدَّمِ! أَنا عَجوزٌ، رَأَيْتُ دِماءً كَثيرَةً! آهِ! لٰكِنَّني سَأَرى قَبْلَ أَنْ أَموتَ مَزيدًا مِنَ الدَّمِ.» ثُمَّ أَشارَتْ إِلى أُمْبوبا، وَقالَتْ: «ذاكَ الرَّجُلُ، ذو الْوَجْهِ النُّحاسِيِّ الْمَرْفوعِ، مِنْ قَلْبِهِ أَشْتَمُّ رائِحَةَ الدَّمِ...» ثُمَّ سَقَطَتْ عَلى الأَرْضِ فَجْأَةً مَغْشِيًّا عَلَيْها.

عُدْنا إِلى الْكوخِ مُثْقَلي الْقُلوبِ، نَتَوَجَّسُ خيفَةً مِنْ عَيْنَي الْمَلِكِ الشِّرِّيرَتَيْنِ وَمِنْ نُبوءاتِ السّاحِرَةِ الْعَجوزِ.

في الْكوخِ سَأَلْتُ إِنْفادوس: «إِنَّ طُوالا حاكِمٌ شَديدُ الظُّلْمِ، فَلِمَ لا تَسْتَبْدِلونَهُ بِسِواهُ؟»

تَنَهَّدَ الْعَجوزُ وَقالَ: «إِذا تَخَلَّصْنا مِنْهُ فَسَيَحِلُّ سْكراغا مَحَلَّهُ. وَقَلْبُ سْكراغا أَشَدُّ سَوادًا مِنْ قَلْبِ أَبيهِ. لَوْ كانَ إِيموتو أَوِ ابْنُهُ إِغْنوسي عَلى قَيْدِ الْحَياةِ لَاخْتَلَفَ الأَمْرُ.»

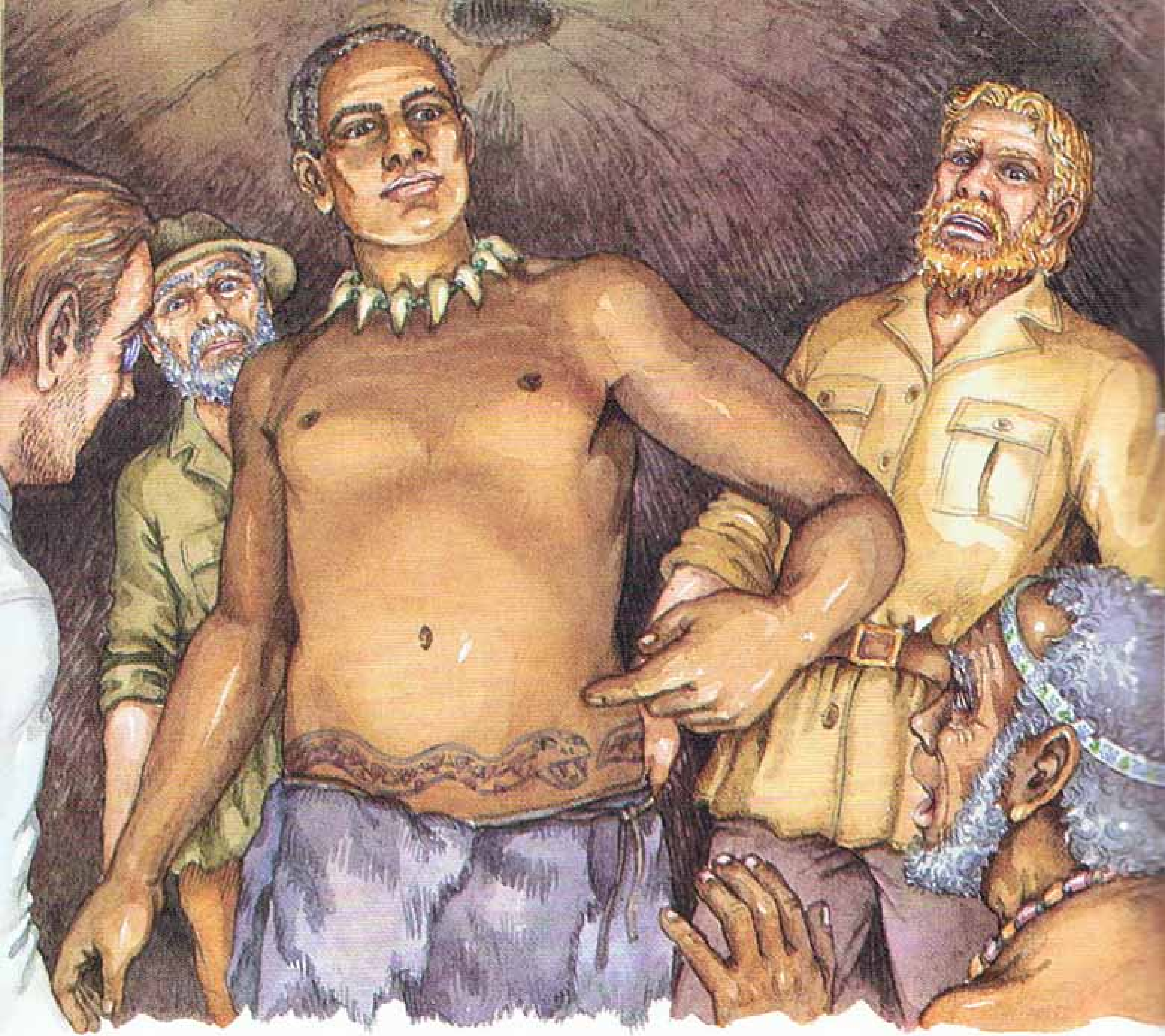
سَأَلَ أُمْبوبا: «وَكَيْفَ تَعْرِفُ أَنَّ إِغْنوسي ماتَ؟»

فاجَأَ ذٰلِكَ السُّؤالُ إِنْفادوس. لٰكِنَّ أُمْبوبا تابَعَ كَلامَهُ قائِلًا:

«ماتَتِ الأُمُّ، أَمّا إِغْنوسي فَلَمْ يَمُتْ. وَظَلَّ إِغْنوسي سِنينَ يَعْمَلُ خادِمًا وَجُنْدِيًّا، إِلى أَنِ الْتَقى رِجالًا مُغامِرينَ يُرافِقُهُمْ عائِدًا إِلى بِلادِهِ.»

أَسْرَعَ إِنْفادوس يَحْتَجُّ عَلى ما يَسْمَعُ. اِنْتَصَبَ أُمْبوبا عِنْدَئِذٍ واقِفًا وَكَشَفَ عَنْ خَصْرِهِ فَإِذا عَلَيْهِ وَشْمُ وَحْشٍ زاحِفٍ. فَخَرَّ إِنْفادوس أَرْضًا، وَهَتَفَ:

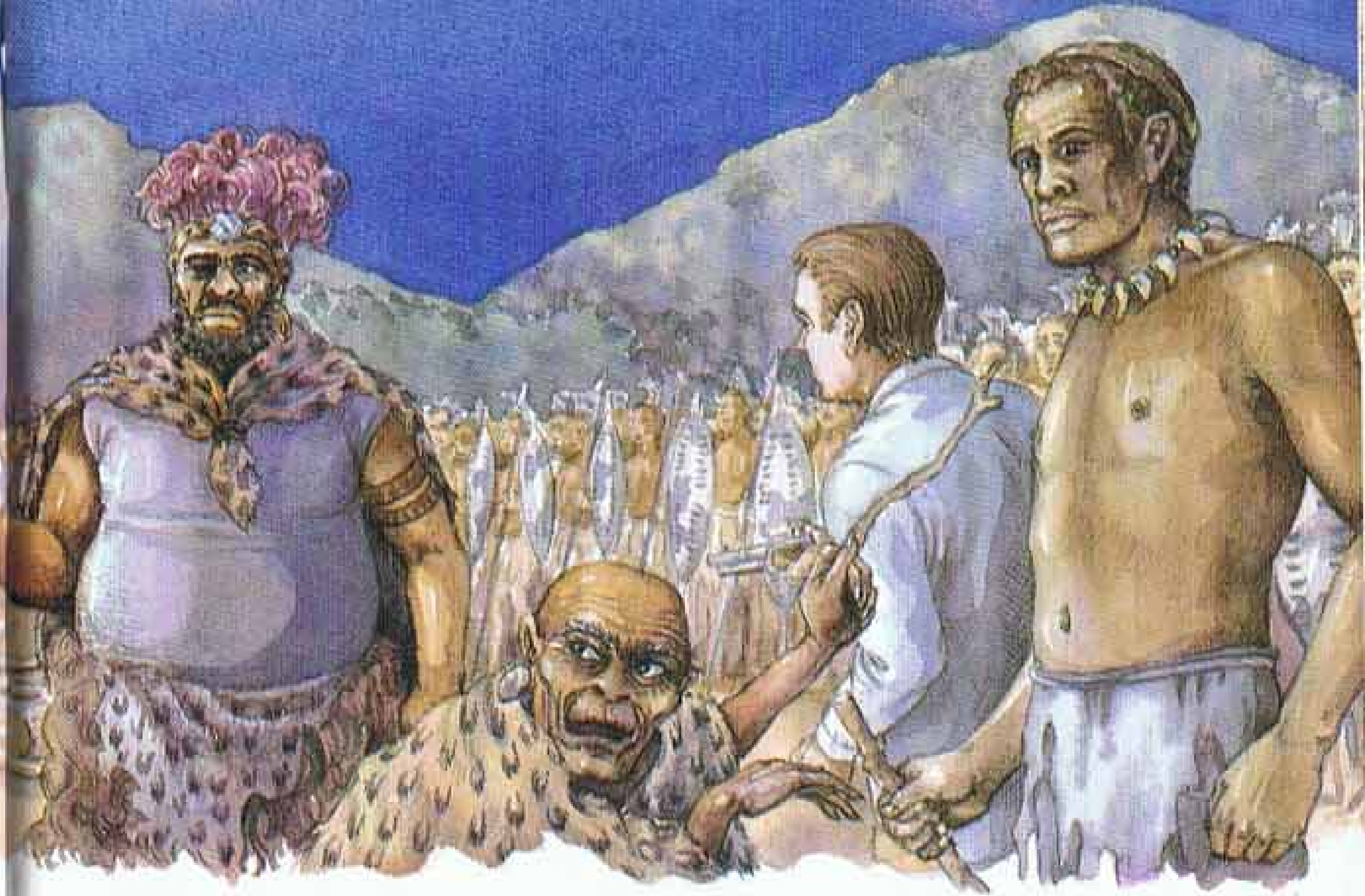
«اَلْوَشْمُ الْمَلَكِيُّ! أَنْتَ ابْنُ أَخي! أَنْتَ الْمَلِكُ!»



قالَ أُمْبوپا بِلُطْفٍ: «لَمْ أَصِرْ مَلِكًا بَعْدُ. أَعْني أَصِرْ مَلِكًا! لٰكِنْ، كَما تَنَبَّأَتْ غاغول، سَتَسيلُ الدِّماءُ أَنْهارًا في الْبِلادِ!»

وَهُناكَ، في تِلْكَ اللَّحْظَةِ، أَقْسَمْنا ثَلاثَتُنا، وَأَقْسَمَ إِنْفادوس، عَلى أَنْ نَقِفَ كُلُّنا مَعَ أُمْبوپا، بَلْ إِغْنوسي، الإِسْمِ الْحَقيقِيِّ.

أَنْبَأَنا إِنْفادوس أَنَّ احْتِفالاً كانَ سَيُقامُ في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَأَنَّهُ بَعْدَ الاحْتِفالِ سَيَأْتي إِلى خَيْمَةِ إِغْنوسي يُرافِقُهُ عَدَدٌ مِنْ زُعَماءِ الْبِلادِ مِمَّنْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَيَقِفونَ مَعَهُ. وَعِنْدَ الْغُروبِ أَرْسَلَ الْمَلِكُ يَسْتَدْعينا. كانَ مَعَ الرَّسولِ ثَلاثُ دُروعٍ زَرَدِيَّةٍ فَلَبِسْناها تَحْتَ ثِيابِنا احْتِرازًا.



امْتَلأَ الْمَيْدانُ الْمَلَكِيُّ ثانِيَةً بِرِجالٍ صامِتينَ. قالَ لَنا إِنْفادوس: «إِنَّهُمْ صامِتونَ لِأَنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ عَلى أَيِّهِمْ سَيُخَيِّمُ شَبَحُ الْمَوْتِ.»

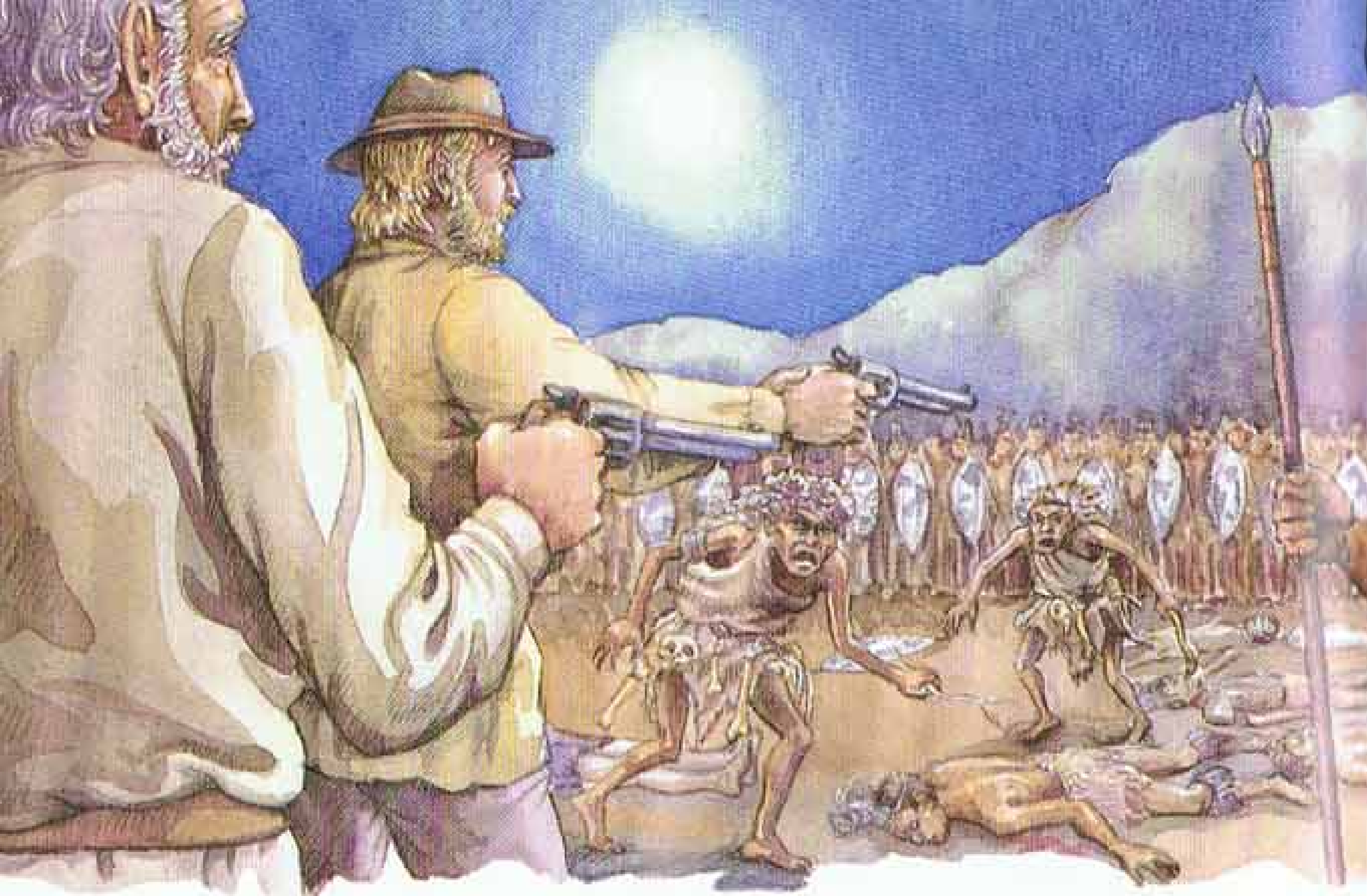
أَقْبَلَ طْوالا وَابْنُهُ وَالْعَجوزُ غاغولُ خارِجينَ مِنَ الْكوخِ. ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الظَّلامِ أَطْيافٌ مُرْعِبَةٌ، أَقْبَلَتْ تَجْري صَوْبَ غاغولَ، فَإِذا هِيَ عَجائِزُ بارِزَةُ الْعِظامِ تَتَطايَرُ في جَرْيِهِنَّ شُعورُهُنَّ الْبَيْضاءُ. وَعِنْدَما وَصَلْنَ إِلَيْها صِحْنَ:

«يا أُمَّنا، يا أُمَّنا الطَّيِّبَةَ، ها نَحْنُ بَيْنَ يَدَيْكِ!»

أَجابَتْ غاغول: «عَظيمٌ، عَظيمٌ! أَتَشْتَمِمْنَ رائِحَةَ دَمٍ؟ أَأَنْتُنَّ جاهِزاتٌ لِتَنْفيذِ عَدالَةِ السَّماءِ؟ اِمْضينَ إِذًا، فَالْجَلّادونَ يَسُنّونَ حِرابَهُمْ!»

صاحَتْ بَناتُ الشَّرِّ صَيْحَةً مُريعَةً وَانْتَشَرْنَ بَيْنَ الْمُحارِبينَ. اِقْتَرَبَتْ إِحْداهُنَّ مِنْ مَجْموعَةٍ مِنَ الرِّجالِ، وَراحَتْ تَرْقُصُ مُشيرَةً إِلَيْهِمْ، وَصاحَتْ: «أَشُمُّ رائِحَةَ شِرّيرٍ!»

ثُمَّ لَمَسَتْ كَتِفَ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَجَمَدَ خَوْفًا. وَأَسْرَعَ اثْنانِ مِنَ الرِّجالِ يَجُرّونَهُ إِلى وَسَطِ الْمَيْدانِ.



صاحَتْ غاغول: «اُقْتُلوهُ!» وَهالَنا أَنْ نَرى الرَّجُلَ يُقْتَلُ، حَتّى قَبْلَ أَنْ تُنْهِيَ غاغولُ كَلِمَتَها. وَتَتابَعَتْ لُعْبَةُ الْمَوْتِ.

أَخيرًا أَخَذَتِ الْعَجائِزُ الرّاقِصاتُ يَقْتَرِبْنَ مِنّا. فَتَمْتَمَ السّير هَنْري قائِلًا:

«عَلى مَنْ سَيَقَعُ اخْتِيارُهُنَّ؟»

مَدَّتْ غاغولُ يَدَها وَوَضَعَتْها عَلى كَتِفِ إِغْنوسي.

صِحْتُ: «لا، أَيُّها الْمَلِكُ!» ثُمَّ وَجَّهْنا كُلُّنا مُسَدَّساتِنا صَوْبَ طْوالا.

جَمَدَ طْوالا فَزَعًا، فَقَدْ كانَ رَأى ما في أَسْلِحَتِنا مِنْ قُوَّةٍ فَتْكٍ. ثُمَّ كَشَّرَ عَنْ أَسْنانِهِ وَقالَ: «سَأُبْقي عَلى حَياتِهِ. لا لِأَنّي خائِفٌ مِنْكُمْ، بَلْ لِأَنَّهُ ضَيْفُكُمْ.»

عِنْدَما انْتَهَتْ عَمَلِيّاتُ الْقَتْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ تَوَجَّهَ الْعَديدُ مِنَ الزُّعَماءِ يَنْشُدونَ الْأَمَلَ عِنْدَ إِغْنوسي. فَأَراهُمْ إِغْنوسي الْوَشْمَ حَوْلَ خَصْرِهِ، مُثْبِتًا نَسَبَهُ الْمَلَكِيَّ، فَاتَّفَقوا جَميعًا عَلى أَنْ يَخْلَعوا طْوالا. لَكِنَّ الشَّكَّ كانَ لا يَزالُ يُساوِرُ بَعْضَ أُولَئِكَ الزُّعَماءِ فَالْوَشْمُ قَدْ لا يَكونُ أَصْلِيًّا، بَلْ تَقْليدًا لَهُ. وَقالوا: «لَنْ نَقومَ بِتَحَرُّكِنا إِلّا إِذا تَلَقَّيْنا آيَةً دامِغَةً!»

دَبَّ بِنا الْيَأْسُ، وَحِرْنا في أَمْرِنا. لٰكِنَّ غود أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ تَقْويمًا صَغيرًا كانَ يَحْمِلُهُ مَعَهُ دائِمًا، وَقالَ:

«أُنْظُروا هُنا، يا رِفاقُ! أَلَيْسَ غَدًا هُوَ الرّابِعَ عَشَرَ مِنْ حَزيرانَ (يونْيَه)؟ أَظُنُّ إِذًا أَنَّ لَدَيْنا ما يَطْلُبونَ. فَغَدًا يُخْسَفُ الْقَمَرُ، وَسَيَتِمُّ ذٰلِكَ، إِذا صَحَّتْ حِساباتي، بَيْنَ الْعاشِرَةِ لَيْلًا وَمُنْتَصَفِ اللَّيْلِ. أَعْلِموا هٰؤُلاءِ الزُّعَماءَ أَنَّنا سَنُعَتِّمُ لِأَجْلِهِمِ الْقَمَرَ.»

لَمْ أَكُنْ مُطْمَئِنًّا إِلى تِلْكَ الْخُطَّةِ، لٰكِنَّها كانَتْ أَمَلَنا الْوَحيدَ، فَوافَقْتُ.

في اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ أَيْضًا تَسَرْبَلْنا بِدُروعِنا الزَّرَدِيَّةِ وَحَمَلْنا بَنادِقَنا. وَبَدا الْمَيْدانُ أَمامَ كوخِ الْمَلِكِ عَلى غَيْرِ ما بَدا اللَّيْلَةَ السّابِقَةَ. فَلَقَدْ كانَ مُزْدَحِمًا بِفَتَياتٍ جَميلاتٍ تَعْلو رُؤوسَهُنَّ تيجانُ أَزْهارٍ.

وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ أَخَذْنَ بِالْغِناءِ، وَتَقَدَّمَتْ إِحْداهُنَّ تَرْقُصُ في الضَّوْءِ الْخافِتِ رَقْصَةً بَهيجَةً. وَعِنْدَما تَعِبَتْ حَلَّتْ أُخْرى مَحَلَّها، وَهٰكَذا تَتابَعْنَ عَلى الرَّقْصِ واحِدَةً بَعْدَ أُخْرى. وَلٰكِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُنَّ واحِدَةٌ تُضاهي في رَقْصَتِها الرّاقِصَةَ الْأولى عُذوبَةً وَرَشاقَةً.

عِنْدَما أَنْهَتِ الرّاقِصاتُ كُلُّهُنَّ رَقْصَهُنَّ الْتَفَتَ إِلَيْنا طْوالا، وَقالَ: «أَيُّها الزُّوّارُ، أَيُّهُنَّ الْأَجْمَلُ؟»

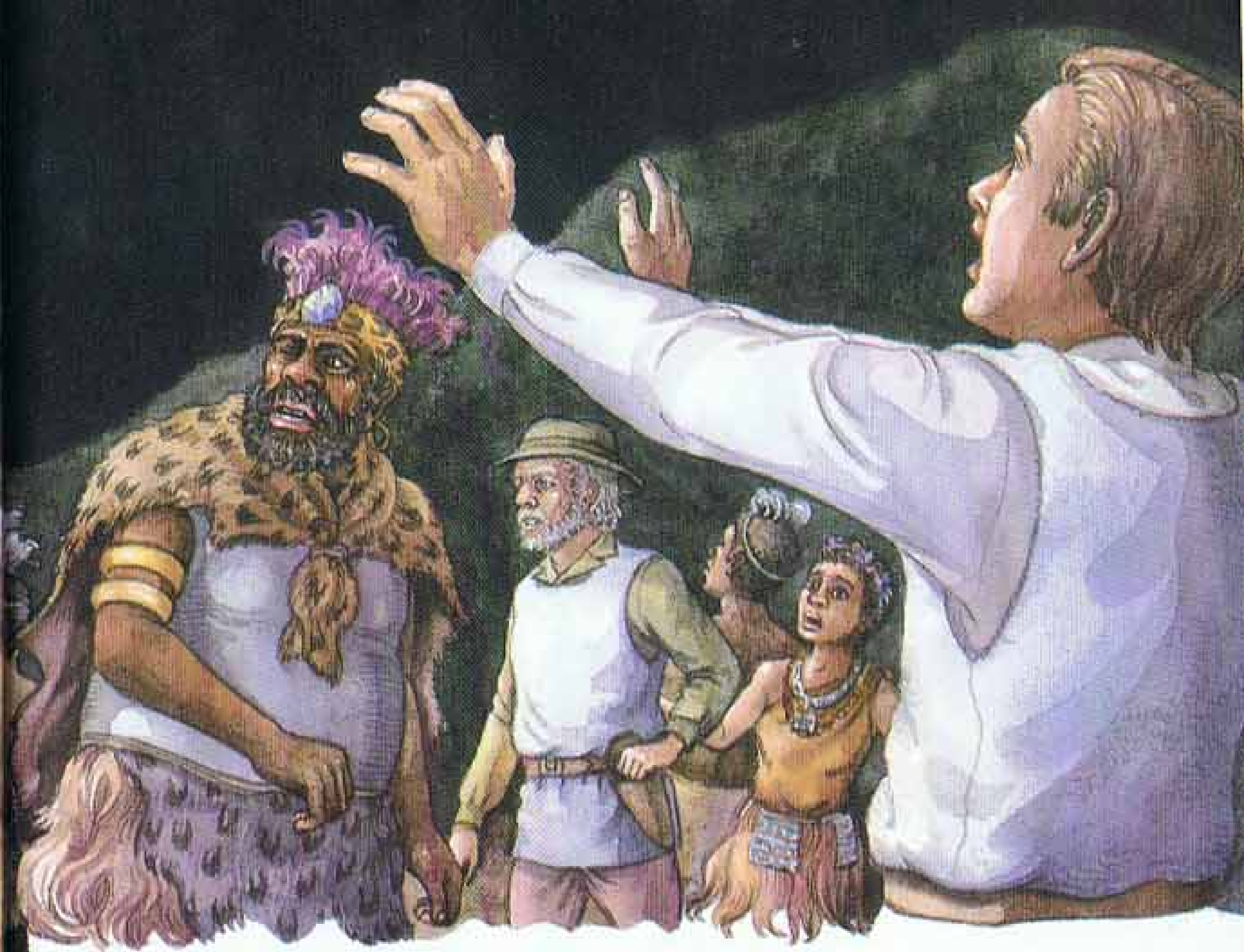
قُلْتُ دونَ تَفَكُّرٍ: «الْأولى، أَيُّها الْمَلِكُ!»

ضَحِكَ طْوالا، وَقالَ: «وَهٰذا هُوَ رَأْيُ الْمَلِكِ أَيْضًا. إِنَّها الْأَجْمَلُ. لٰكِنَّ ذٰلِكَ مِنْ سوءِ حَظِّها، فَإِنَّها لِذٰلِكَ سَتَموتُ. فَالْأَجْمَلُ يُضَحّى بِها.»

اِقْتَرَبَتْ غاغولُ مِنَ الصَّبِيَّةِ الْجَميلَةِ، وَاسْمُها فولاطا، وَأَطْلَعَتْها عَلى ما يَنْتَظِرُها. فَأَخَذَتِ الْمِسْكينَةُ تَرْتَعِشُ وَتَنْتَحِبُ. وَكانَتْ في حُزْنِها فائِقَةَ الْجَمالِ. لٰكِنَّ ذٰلِكَ لَمْ يُغَيِّرْ قَلْبَ الْمَلِكِ.

تَأَثَّرَ غود تَأَثُّرًا بالِغًا، وَبانَ الْغَضَبُ عَلى وَجْهِهِ. وَلَمَسَتْ فولاطا ذٰلِكَ مِنْهُ فَرَمَتْ نَفْسَها عِنْدَ قَدَمَيْهِ تَحْتَمي بِهِ.





هَمَسَ السِّيرِ هنْري قائِلاً: «الْآنَ وَقْتُكَ!» فَرَفَعْتُ بَصَري إلى السَّماءِ وَلَمَحْتُ عَلى حافَةِ الْقَمَرِ ظِلًّا دَقيقًا. فَصِحْتُ بِأَعْلى صَوْتي:

«إنْ لَمْ تُبْقِ عَلى حَياتِها، نَحْنُ، الْآتينَ مِنَ الْقَمَرِ، سَنُطْفِئُ قِنْديلَ السَّماءِ!»

ثُمَّ رَفَعْتُ يَدَيَّ إلى السَّماءِ وَبَدَأْتُ أُرَدِّدُ أَبْياتًا مِنَ الشِّعْرِ لا يَفْهَمُها أَحَدٌ حَتّى مُعْظَمُ النّاطِقينَ بِلُغَتِنا، آمِلًا أَنْ يَظُنّوها رُقْيَةً سِحْرِيَّةً.

كانَ السَّوادُ قَدْ بَدَأَ يَزْحَفُ عَلى قُرْصِ الْقَمَرِ. وَتَوَلّى غود إتْمامَ الرُّقْيَةِ عَنّي، فَراحَ يُطْلِقُ عِباراتٍ غَيْرَ مَفْهومَةٍ اتَّصَلَتْ مُدَّةَ عَشْرِ دَقائِقَ دونَ أَنْ يُكَرِّرَ عِبارَةً واحِدَةً مِنْها.

بَيْنَما كانَ الظَّلامُ يَزْحَفُ عَلَيْنا، كانَ الْجُمْهورُ الْمُحْتَشِدُ يُراقِبُ في صَمْتٍ. وَسُرْعانَ ما دَبَّ الذُّعْرُ في النّاسِ الْمُتَجَمْهِرينَ وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يَلوذُ بِالْفِرارِ.



صاحَ سْكراغا، ابْنُ الْمَلِكِ: «السَّحَرَةُ قَتَلوا الْقَمَرَ!» ثُمَّ قَذَفَ السِّيرِ هنْري بِرُمْحِهِ. لٰكِنَّ الدِّرْعَ الزَّرَدِيَّةَ أَنْقَذَتْ صَديقَنا. فَأَمْسَكَ بِالرُّمْحِ وَرَمى بِهِ سْكراغا فَاخْتَرَقَ جَسَدَهُ. وَرَوَّعَ ذٰلِكَ قُلوبَ الَّذينَ لَمْ يَكونوا قَدْ لاذوا بِالْفِرارِ بَعْدُ، وَسُرْعانَ ما تَأَكَّدَ انْتِصارُنا عِنْدَما اسْتَدارَ الْمَلِكُ نَفْسُهُ وَغاغولُ وَجَرَيا هارِبَيْنِ.

أَمْسَكَ بَعْضُنا أَيادِيَ بَعْضٍ لِئَلّا نَتَفَرَّقَ. وَرُحْنا نَشُقُّ طَريقَنا وَسَطَ الْحُشودِ وَالظَّلامِ، يُرافِقُنا عَدَدٌ كَبيرٌ مِنْ أَتْباعِ إغْنوسي الْمُخْلِصينَ.

كانَ حُلَفاؤُنا يَعْرِفونَ مَسالِكَهُمْ في الرِّيفِ ، حَتّى في ظَلامِ الْخُسوفِ ، فَقادونا آمِنينَ إلى تَلَّةٍ هِلالِيَّةٍ . وَهُنا نَصَبْنا مُخَيَّمَنا وَرُحْنا نَتَأَمَّلُ أَشِعَّةَ الْقَمَرِ تَعودُ ، وَقَدْ أَخَذَ الْخُسوفُ يَنْحَسِرُ ، فَتَغْمُرُ الأَرْضَ بِضَوْئِها الْفِضِّيِّ .

شَرَعْنا في تَحْصينِ مَوْقِعِنا في وَجْهِ هُجومٍ مُنْتَظَرٍ . وَأَخَذَ إغْنوسي ، في أَثْناءِ ذَلِكَ ، يَبْعَثُ بِرَسائِلَ مُسْتَعْجَلَةٍ إلى قَبائِلَ مُجاوِرَةٍ كانَ يَعْلَمُ أَنَّها تُؤَيِّدُهُ وَتَكْرَهُ حُكْمَ الطّاغِيَةِ طْوالا .

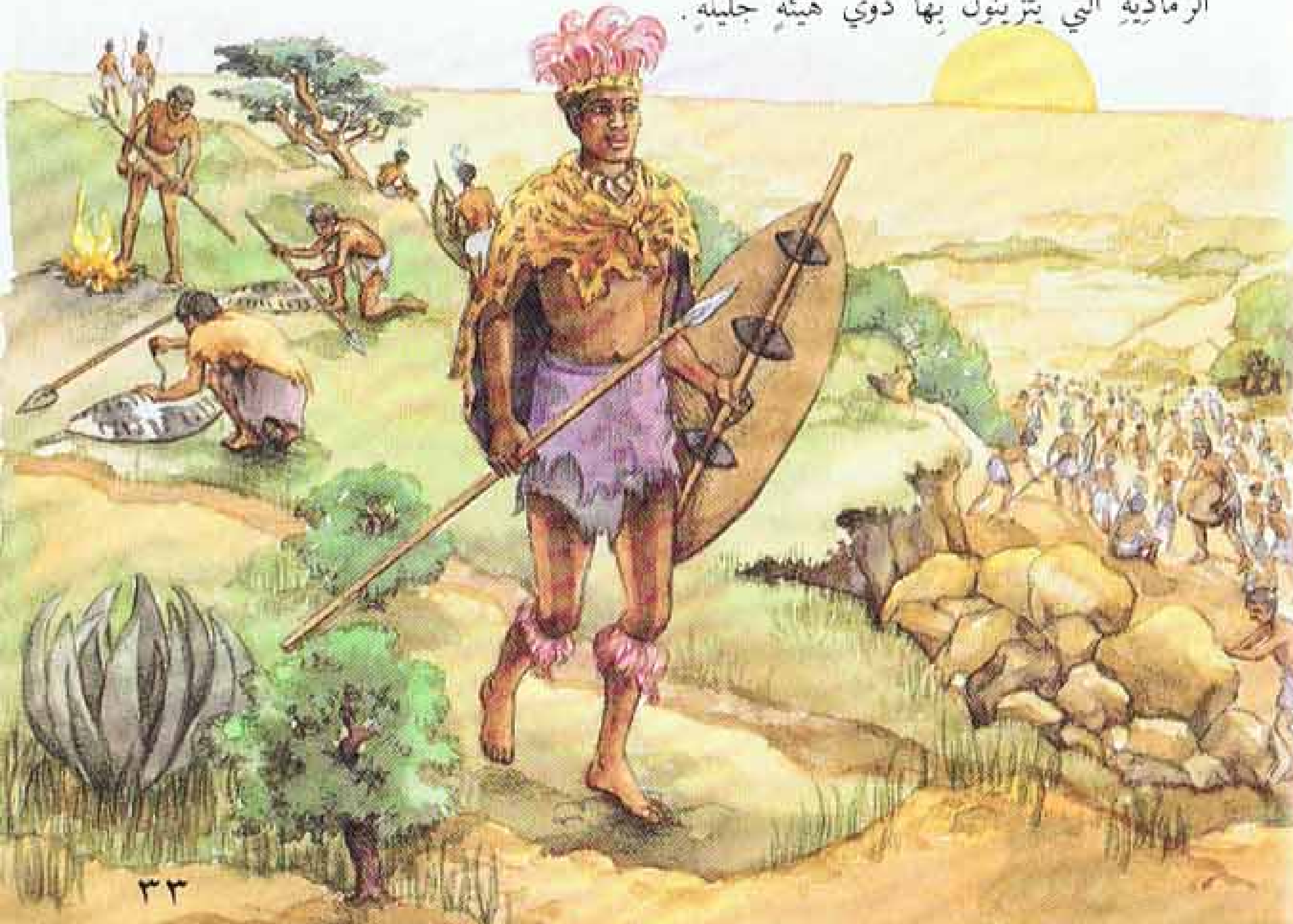
كانَ لَدَيْنا في الْيَوْمِ التّالي جَيْشٌ قَوِيٌّ مِنْ نَحْوِ عِشْرينَ أَلْفَ مُحارِبٍ الْتَفّوا حَوْلَنا في مَجْموعاتٍ حَسَنَةِ التَّنْظيمِ وَالتَّسَلُّحِ ، يَطيبُ لَهُمُ الْمَوْتُ في سَبيلِ قَضِيَّةٍ آمَنوا بِها .

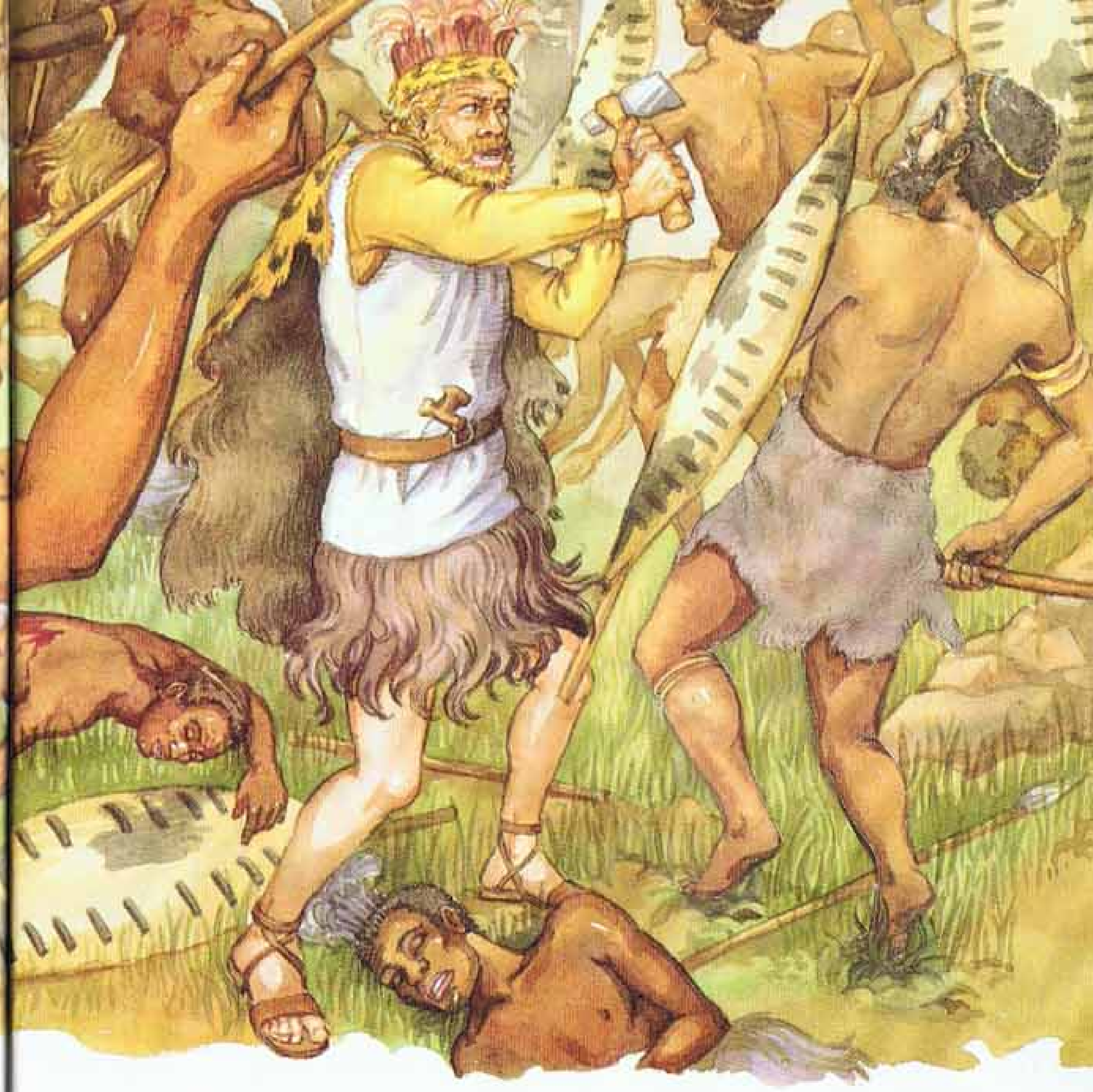


في مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ كانَتِ الاِسْتِعْداداتُ كُلُّها قَدِ اكْتَمَلَتْ . وَإذْ أَخَذْنا أَنا وَالسّيرِ هِنْري نَتَأَمَّلُ الْمُحارِبينَ النّائِمينَ ، رُحْنا نَتَساءَلُ كَمْ مِنْ أُولَئِكَ سَيَكونونَ في غَدٍ نائِمينَ نَوْمَةً لا نُهوضَ بَعْدَها أَبَدًا .

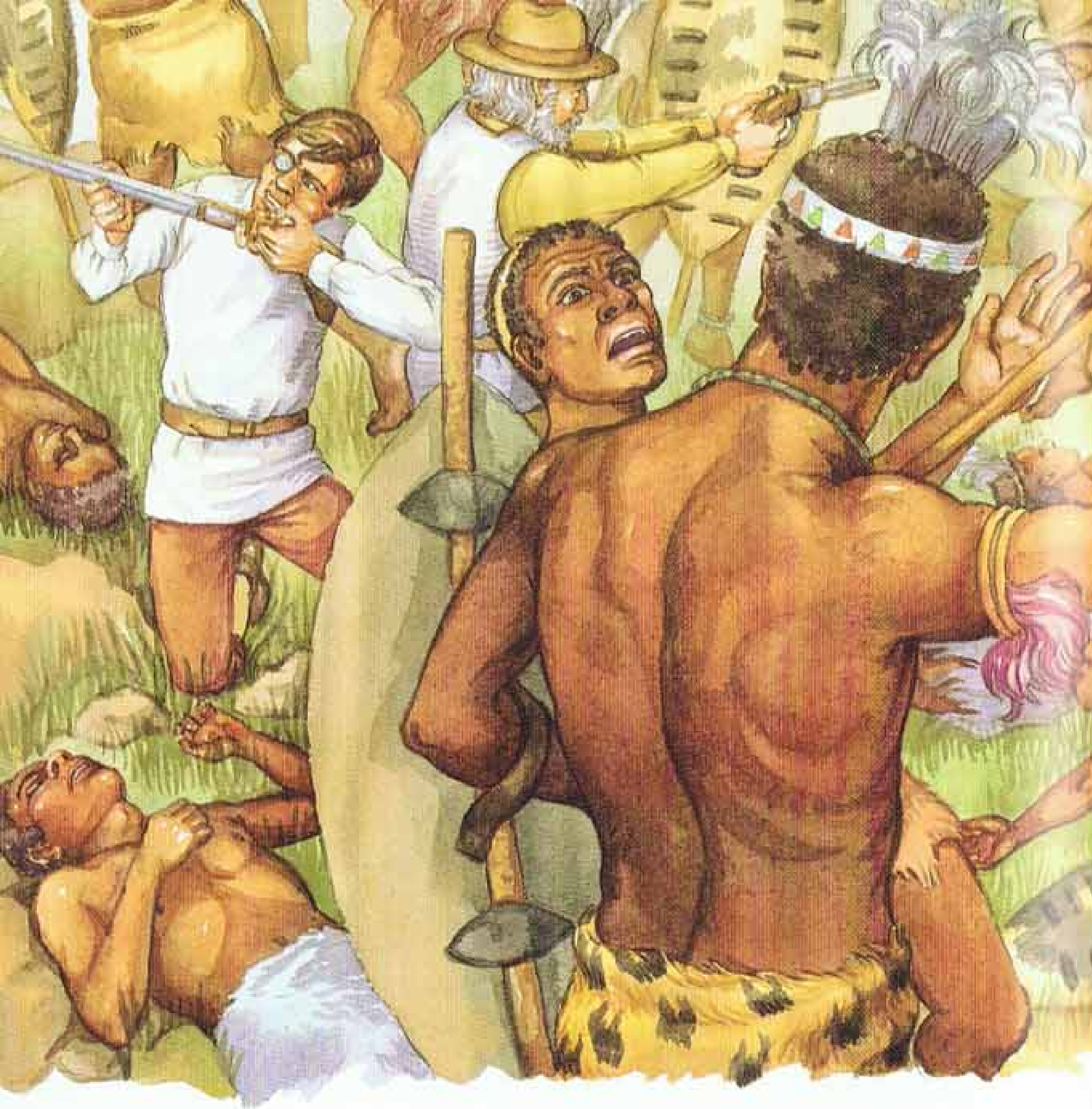
نَهَضْنا عِنْدَ شُروقِ الشَّمْسِ نَسْتَقْبِلُ الْحَرْبَ . لَبِسَ غود ثِيابَهُ ، أَمّا السّيرِ هِنْري فَلَبِسَ زِيَّ مُحارِبٍ كوكْوانِيٍّ .

وَكانَ السَّبيلَ الْوَحيدَ لِلْوُصولِ إلى مَوْقِعِنا وادٍ ضَيِّقٌ بَيْنَ قَرْنَي التَّلَّةِ . وَكانَتْ خُطَّتُنا تَقْضي بِأَنْ نَسْتَدْرِجَ جَيْشَ طْوالا إلى الْمَضيقِ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ . وَإذْ نَحْنُ نُشاغِلُهُ هُناكَ ، نُرْسِلُ إلَيْهِ فِرَقًا تَنْقَضُّ هابِطَةً عَلَيْهِ مِنْ جانِبَيِ التَّلَّةِ الأَيْمَنِ وَالأَيْسَرِ وَتَأْخُذُهُ عَلى حينِ غِرَّةٍ . صافَحَنا غود بِوَقارٍ . وَكانَ عَلَيْهِ قِيادَةُ فِرْقَةِ الْمَيْمَنَةِ ، وَكانَ عَلى السّيرِ هِنْري أَنْ يَقودَ الْجَبْهَةَ الأَمامِيَّةَ ، وَأَتْبَعُهُ أَنا عَلى رَأْسِ فِرْقَةِ مُحارِبي الرّيشِ الرَّمادِيِّ . وَكانَ هَؤُلاءِ رِجالًا أَشاوِسَ طِوالًا ذَوي عَزْمٍ غَيْرَ هَيّابينَ – وَكانوا صَفْوَةَ جَيْشِ إغْنوسي . يَبْدونَ بِريشاتِهِمِ الرَّمادِيَّةِ الَّتي يَتَزَيَّنونَ بِها ذَوي هَيْئَةٍ جَليلَةٍ .





وَصَلَ جَيْشُ طُوالا ، وَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ في الْوادي. وَلَمْ يَكُنْ ضيقُ الْمَكانِ يَسْمَحُ إلَّا بِتَقَدُّمِ فَوْجٍ واحِدٍ مِنَ الْمُحارِبينَ. وَسُرْعانَ ما وَقَفَتْ طَلائِعُ جَيْشِهِ في مُواجَهَةِ طَلائِعِ ذَوي الرّيشِ الرَّمادِيِّ. وَظَلَّ رِجالُنا الْأَشاوِسُ يَقِفونَ ساكِنينَ حَتّى وَصَلَ الْمُحارِبونَ إلى بُعْدِ أَرْبَعينَ مِتْرًا مِنْهُمْ. ثُمَّ صاحوا صَيْحَةً عَظيمَةً وَقَفَزوا مُتَقَدِّمينَ ، وَالْتَقى الطَّرَفانِ بِصِدامٍ هائِلٍ صاخِبٍ كَالرَّعْدِ. وَراحَ ذَوو الرّيشِ الرَّمادِيِّ يَنْتَشِرونَ عَبْرَ صُفوفِ رِجالِ طُوالا انْتِشارَ الْمَوْجِ.



لا أَقْوى عَلى وَصْفِ ما جَرى في ذٰلِكَ الْيَوْمِ. لَمْ أَكُنْ أَرى إلّا الْحِرابَ الْوَمّاضَةَ تَتَطايَرُ وَسْطَ غَشاوَةٍ مِنَ الدِّماءِ. لَقَدْ لَمَحْتُ السَّيرَ هَنْري يَهْوي بِفَأْسِهِ الضَّخْمَةِ ، وَرَأَيْتُ إنْفادوسَ الرّابِطَ الْجَأْشِ أَبَدًا ، يَضْحَكُ لِيَبْعَثَ الِاطْمِئْنانَ في نُفوسِ مُحارِبيهِ.

أَطْلَقَ رِجالُ طُوالا فَجْأَةً صَرْخَةَ ذُعْرٍ. فَلَقَدِ انْدَفَعَ رِجالُنا نازِلينَ مِنْ جانِبَيِ التَّلَّةِ ، كَما كُنّا قَدْ خَطَّطْنا. وَما هِيَ إلّا دَقائِقُ حَتّى كانَتِ الْمَعْرَكَةُ قَدْ حُسِمَتْ.

وَقفَ طُوالا شامخَ القامَةِ وَحيدًا إلّا مِنْ نفرٍ قليلٍ مِنْ رجالِهِ، وَصاحَ: «أَيْنَ هُوَ الرَّجُلُ الَّذي قتلَ ابْني؟» وَإذْ لَمحَ السَّيرُ هَنْري عاجَلَهُ بضَرْبَةٍ هائِلَةٍ قَصَمَتْ فأْسَهُ وَرمَتْهُ أَرْضًا. أَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ، وَعِنْدَما فَتَحْتُهُما وَجَدْتُ السَّيرَ هَنْري وَطُوالا يَتَصارَعانِ صِراعًا مَريرًا. كُلٌّ مِنْهُما يُحاوِلُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ حَيًّا مَرْفوعَ الرَّأْسِ.

فَجْأَةً صاحَ غود: «اِحْذَرِ الْفَأْسَ!» وَكانَ طُوالا قَدْ رَفَعَ فَأْسَهُ وَأَهْوى بِها. قَفَزَ السَّيرُ هَنْري مُتَجَنِّبًا الضَّرْبَةَ، وَما هِيَ إلّا لَحظاتٌ حَتّى كانَ قَدِ انْتَزَعَ الْفَأْسَ مِنْ يَدِ خَصْمِهِ وَضَرَبَهُ بِها ضَرْبَةً قاضِيَةً أَطارَتْ رَأْسَهُ عَنْ جَسَدِهِ. وَرَأَيْنا السَّيرَ هَنْري يَقَعُ فَوْقَ جُثَّةِ طُوالا مَغْشِيًّا عَلَيْهِ لِكَثْرَةِ ما نَزَفَ مِنْ دَمِهِ.

بَعْدَ انْقِشاعِ غُبارِ الْمَعْرَكَةِ تَبَيَّنَ أَنَّ الرُّبْعَ فَقَطْ مِنْ ذَوي الرّيشِ الرَّمادِيِّ الْأَشاوِسِ قَدْ سَلِمَ. وَإذا كُنْتُ قَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْمَعْرَكَةِ دونَ أَنْ أُصابَ بِخَدْشٍ، فَقَدْ أُصيبَ السَّيرُ هَنْري وَغود كِلاهُما بِجِراحٍ بالِغَةٍ. تَعافى السَّيرُ هَنْري بَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ، أَمّا غود فَقَدْ طالَ أَمَدُ عِلاجِهِ. وَلَوْلا تَفاني فولاطا في خِدْمَتِهِ وَالسَّهَرِ عَلَيْهِ لَما كانَ نَجا. فَإنَّهُ إذْ راحَ يَهْذي تَحْتَ وَطْأَةِ الْحُمّى كانَتْ فولاطا تَرْعاهُ بِحُنُوٍّ لا حَدَّ لَهُ.

بَعْدَ حينٍ أَخَذَ الْقُبْطانُ يَخْطو في طَريقِ الْعافِيَةِ، وَأَخْبَرَهُ السَّيرُ هَنْري ما كانَ مِنْ أَمْرِ فولاطا وَرِعايَتِها لَهُ. لٰكِنَّ فولاطا قالَتْ بِرِقَّةٍ: «أَنَسِيَ سَيِّدي أَنَّ الْقُبْطانَ قَدْ أَنْقَذَ حَياتي؟ أَنا مَدينَةٌ لَهُ في ذٰلِكَ ما دُمْتُ حَيَّةً.»

زارَنا إغْنوسي، وَقَدْ زَيَّنَ رَأْسَهُ بِالْماسَةِ الْمَلَكِيَّةِ. وَقَفْتُ، وَقُلْتُ: «السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّها الْمَلِكُ!»

فَأَجابَني مِنْ فَوْرِهِ: «أَخيرًا أَنا الْمَلِكُ، وَلٰكِنْ بِفَضْلِ سَواعِدِكُمْ أَنْتُمْ.»

سَأَلْتُهُ ما يَنْوي فِعْلَهُ بِغاغول.

«تَسْتَحِقُّ الْقَتْلَ، فَهِيَ الَّتي كانَتْ دائِمًا تَخْتارُ الرِّجالَ لِلْمَوْتِ، وَكانَتْ دائِمًا ضالِعَةً في الشَّرِّ!»



لٰكِنَّ غاغولَ كانَتْ وَحْدَها تَعْرِفُ سِرَّ الْكَنْزِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ غَيْرُها يَقْدِرُ عَلى إِرْشادِنا إِلَيْهِ. فَكانَ عَلى غاغولَ أَنْ تَخْتارَ إِمّا أَنْ تُساعِدَنا أَوْ تَموتَ.

قالَتْ: «لَنْ أَبوحَ بِسِرِّ الْكَنْزِ، وَأَنْتُمْ لَنْ تَجْرُؤوا عَلى قَتْلي.»

لَمَسَ إِغْنوسي جَسَدَها بِسِنانِ رُمْحِهِ. وَكانَ في ذٰلِكَ ما يَكْفي لإِرْعابِها. أَدْرَكَتْ أَنَّ إِغْنوسي مُصَمِّمٌ عَلى أَنْ يَضَعَ حَدًّا لِسُلْطانِها، وَأَنَّهُ لَنْ يَتَوَرَّعَ في سَبيلِ الْوُصولِ إِلى ذٰلِكَ حَتّى عَنْ قَتْلِها.

رَمَتْ غاغولُ نَفْسَها عَلى الْأَرْضِ مُطْلِقَةً صَرْخَةً مُدَوِّيَةً، وَراحَتْ تَتَلَوّى وَتَصيحُ: «سَأَدُلُّكُمْ. أَبْقوا فَقَطْ عَلى حَياتي، وَاتْرُكوني أَعيشُ مِئَةَ سَنَةٍ أُخْرى. لٰكِنْ حَذارِ، فَلَقَدْ حَدَثَ، فيما مَضى مِنَ الزَّمانِ، أَنْ دَلَّتِ امْرَأَةٌ رَجُلًا غَريبًا عَلى حُجْرَةِ الْكَنْزِ السِّرِّيَّةِ فَحَلَّ بِهِ سوءُ الْمَصيرِ. كانَ اسْمُ تِلْكَ الْمَرْأَةِ غاغولَ أَيْضًا. أَنا هِيَ تِلْكَ الْمَرْأَةُ!»

بَدا لَنا آنَذاكَ أَنَّ تِلْكَ الْعَجوزَ الشِّرّيرَةَ غَدَتْ تَحْتَ سُلْطانِنا. فَلَمْ نَحْفِلْ بِما كانَتْ تَتَلَفَّظُ بِهِ مِنْ كَلِماتٍ غَريبَةٍ، وَقَرَّ رَأْيُنا عَلى أَنْ نَجِدَّ في السَّعْيِ لِلْوُصولِ إِلى حُجْرَةِ الْكَنْزِ.

تَأَلَّفَتْ جَماعَتُنا مِنّا نَحْنُ الثَّلاثَةَ، وَفولاطا، وَهِيَ الَّتي لَمْ تَكُنِ الْآنَ تُفارِقُ مَكانَها إِلى جِوارِ غود، وَإِنْفادوس، وَغاغولَ الَّتي كانَتْ تَدْأَبُ عَلى التَّلَفُّظِ بِكَلِماتٍ غامِضَةٍ غاضِبَةٍ طَوالَ مَسيرَتِها مَعَنا.

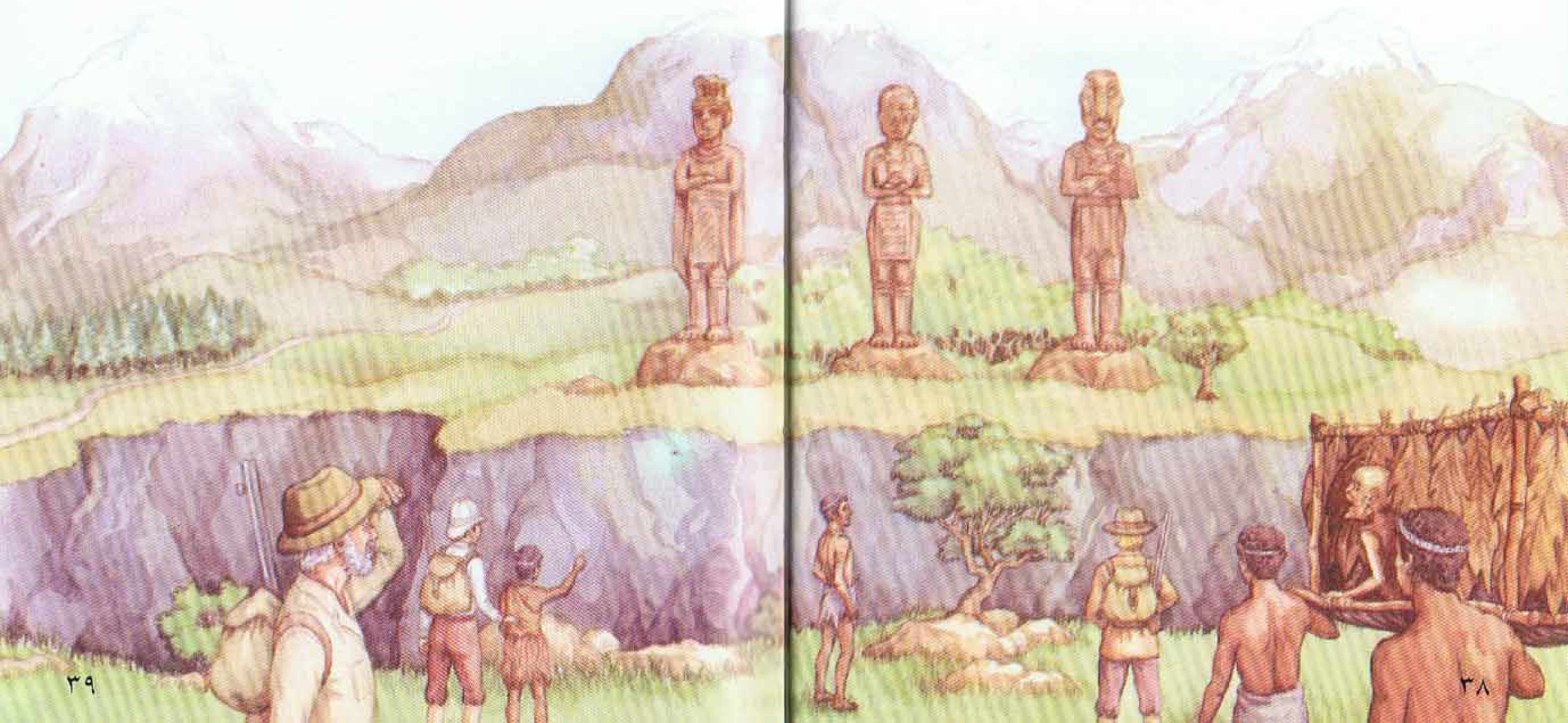
رَأَيْنا مِنْ بُعْدٍ ما بَدا لَنا أَنَّهُ ثَلاثَةُ أَعْمِدَةٍ مَرْفوعَةٍ. لٰكِنْ عِنْدَما اقْتَرَبْنا مِنْها وَجَدْنا أَنَّها أَشْكالٌ ضَخْمَةٌ يَرْتَفِعُ الْواحِدُ مِنْها نَحْوَ عِشْرينَ مِتْرًا، تُمَثِّلُ عِنْدَهُمُ الْأَرْواحَ الَّتي تَحْرُسُ مَدْخَلَ الْكَنْزِ. وَأَمامَ هٰذِهِ الْأَشْكالِ فَجْوَةٌ ضَخْمَةٌ سَحيقَةٌ. لَقَدْ ذَكَّرَتْني تِلْكَ الْفَجْوَةُ بِما رَأَيْتُهُ مِنْ حَفْرِيّاتِ مَناجِمِ الْماسِ في أَماكِنَ أُخْرى، بِما فيها مِنْ طَبَقاتٍ صَلْصالِيَّةٍ صُلْبَةٍ زَرْقاءَ، فَهَتَفْتُ:

«أَتَدْرونَ سِرَّ هٰذِهِ الْفَجْوَةِ؟ إِنَّها حَفْرِيّاتُ ماسٍ!»

وَصَلْنا أَخيرًا إِلى جِدارٍ مِنَ الصَّخْرِ الصَّلْدِ يَرْتَفِعُ نَحْوَ أَرْبَعينَ مِتْرًا. أَنْزَلْنا غاغولَ مِنْ مَحْمِلِها، فَمَشَتْ مِشْيَتَها الْعَرْجاءَ صَوْبَ ذٰلِكَ الْجِدارِ. ثُمَّ وَقَفَتْ أَمامَ فُتْحَةٍ ضَيِّقَةٍ فيهِ وَوَقْوَقَتْ قائِلَةً:

«فَلْتَكُنْ قُلوبُكُمْ قَوِيَّةً لِتَحْتَمِلَ ما سَوْفَ تَرَوْنَ!»

امْتَنَعَ إِنْفادوس عَنِ الدُّخولِ مَعَنا. وَتَرَدَّدَتْ فولاطا أَيْضًا، وَلٰكِنَّ وَفاءَها لِغود تَغَلَّبَ عِنْدَها فَتَبِعَتْنا إِلى ما لَعَلَّهُ أَعْجَبُ مَكانٍ وَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنُ إِنْسانٍ.





كانَتْ قاعَةً ضَخْمَةً لَمْ تَطَأْ قَدَمُ أَيٍّ مِنّا قاعَةً أَضْخَمَ مِنْها ، كَهْفٌ طَبيعِيٌّ لا نَوافِذَ فيهِ ، يُضيئُهُ نورٌ خافِتٌ يَجِدُ طَريقَهُ عَبْرَ الْجانِبِ الْعُلْوِيِّ مِنْهُ . وَكانَ يَتَدَلّى في جَوانِبِ ذٰلِكَ الْكَهْفِ أَعْمِدَةٌ بَرّاقَةٌ طالِعَةٌ وَنازِلَةٌ ، تَشَكَّلَتْ مِنْ تَقَطُّرِ الْمِياهِ ، وَما فيها مِنْ تَرَسُّباتٍ مَعْدِنِيَّةٍ ، عَبْرَ أُلوفِ السِّنينَ ، تَقَطُّرًا بَطيئًا مُسْتَمِرًّا . إِنَّ لِساني لَيَعْجِزُ عَنْ وَصْفِ ما في ذٰلِكَ الْمَشْهَدِ الْمَهيبِ مِنْ جَمالٍ .

لٰكِنَّ غاغول بَدَتْ قَلِقَةً لا تَسْتَقِرُّ عَلى حالٍ ، وَكَأَنَّما أَغاظَها أَنْ نَتَلَكَّأَ في مَسيرَتِنا . فَأَسْرَعَتْ تَمْشي أَمامَنا حَتّى أَوْصَلَتْنا إِلى نِهايَةِ الْكَهْفِ ، وَهُناكَ وَقَفَتْ عِنْدَ بابٍ آخَرَ .

سَأَلَتْنا غاغولُ لِتَبْعَثَ بِنا الضّيقَ : «أَأَنْتُمْ مُسْتَعِدّونَ أَنْ تَدْخُلوا كَهْفَ الْمَوْتِ ، أَيُّها الْأَغْرابُ !»



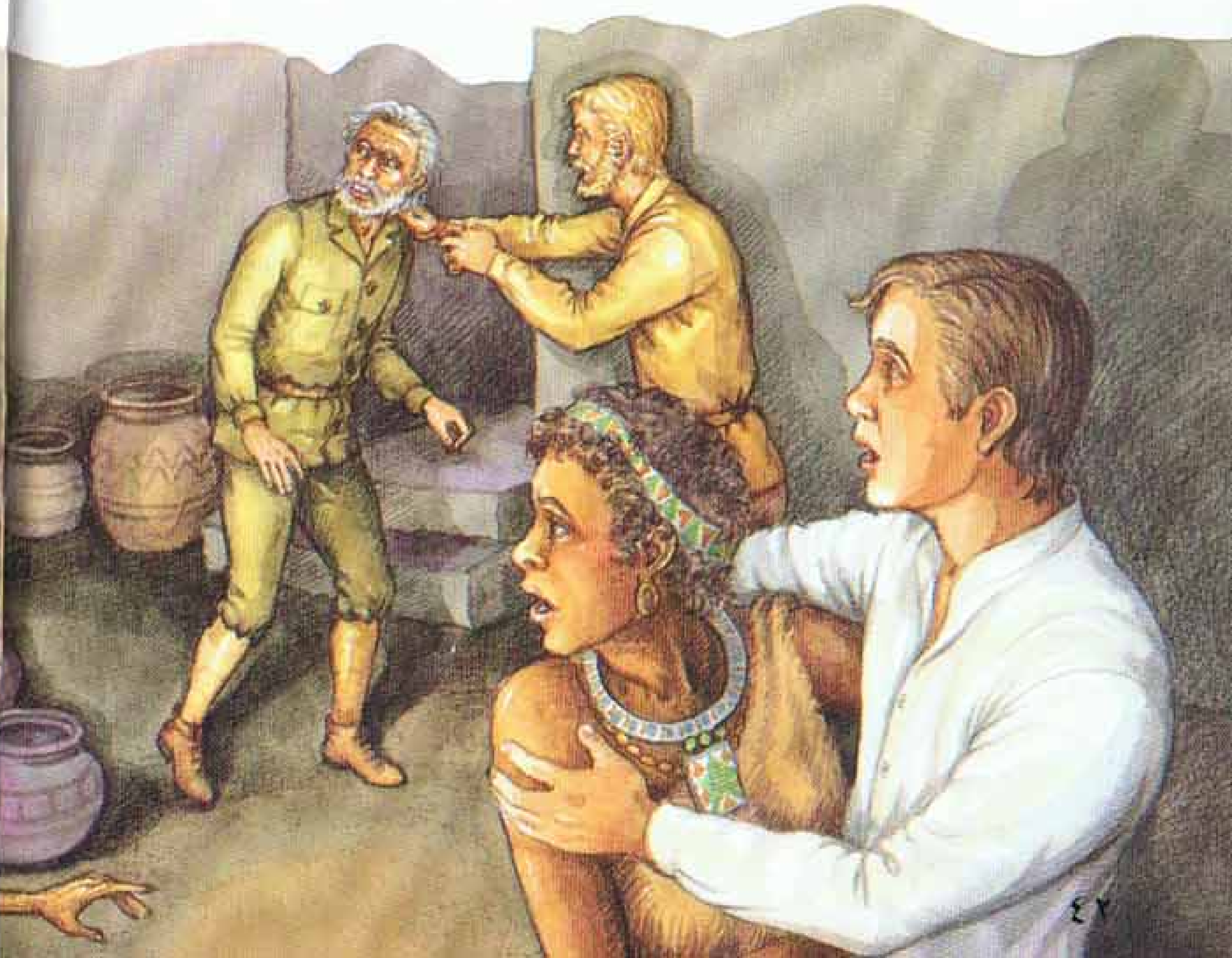
حَدَّقَ السِّير هِنْري في الْمَمَرِّ الْمُعْتِمِ ، وَقالَ : «هٰذا شَيْءٌ مُقْبِضٌ لِلنَّفْسِ !»

كانَتْ غاغولُ تَدُقُّ بِعَصاها الْأَرْضَ دَقًّا رَتيبًا فَتَبْعَثُ الرَّهْبَةَ في نُفوسِنا . تَرَدَّدْتُ لَحْظَةً . وَقَدْ عَراني شُعورٌ أَنَّ مَكْروهًا يوشِكُ أَنْ يَحِلَّ بِنا .

وَسَمِعْتُ غود يَقولُ في لَهْجَةٍ يَسْعى إِلى أَنْ تَبْدُوَ مَرِحَةً : «عَجِّلْ يا صاحِبي ، وَإِلّا فَقَدْنا دَليلَنا الْوَفِيَّ !»

وَجَدْتُ نَفْسي ، بَعْدَ نَحْوِ عِشْرينَ خُطْوَةً ، في قاعَةٍ أُخْرى ، أَقَلَّ ضَخامَةً مِنْ سابِقَتِها وَأَبْهَتَ مِنْها إِضاءَةً. وَرَأَيْتُ ما بَدا لي طاوِلَةً حَجَرِيَّةً يُحيطُ بِها أَعْمِدَةٌ بَيْضاءُ ، وَيَتَوَسَّطُها شَكْلٌ قاتِمُ اللَّوْنِ لَمْ أَتَبَيَّنْ حَقيقَتَهُ في الظَّلامِ ، بَدا لي جالِسًا فَوْقَها. ثُمَّ تَعَوَّدَتْ عَيْنايَ بَعْدَ لَحَظاتِ الظَّلامَ ، وَعِنْدَما تَبَيَّنَتْ لي حَقيقَةُ تِلْكَ الْأَشْكالِ اسْتَدَرْتُ عَلى عَقِبَيَّ وَجَرَيْتُ أَسْعى إِلى الْخُروجِ مِنْ ذٰلِكَ الْمَكانِ.

رَأَيْتُ في حَياتي مَشاهِدَ مُريعَةً عَديدَةً لَمْ تُرَوِّعْني. لٰكِنْ ، هٰذِهِ الْمَرَّةَ ، فَإِنّي أَعْتَرِفُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَتَمَسَّكْ بي السِّيرِ هَنْري ، وَيُجْبِرْني عَلى الْبَقاءِ في مَكاني ، لَكُنْتُ تابَعْتُ جَرْيي إِلى خارِجِ الْكَهْفِ ، وَلَما كانَتْ كُلُّ ماساتِ الدُّنْيا قادِرَةً عَلى أَنْ تُغْرِيَني بِالْعَوْدَةِ إِلَيْهِ.



أَمْسَكَ بي السِّيرِ هَنْري بِيَدَيْهِ الْقَوِيَّتَيْنِ ، إِلى أَنِ اعْتادَتْ عَيْناهُ ، هُوَ أَيْضًا ، الظَّلامَ. فَأَخْلى سَبيلي لِأَمْسَحَ الْعَرَقَ الْمُتَصَبِّبَ مِنْ جَبيني. أَمّا فولاطا فَقَدْ أَسْرَعَتْ تَلْجَأُ إِلى غود وَتُحيطُهُ بِذِراعَيْها ، بَيْنَما راحَ هُوَ يُتَمْتِمُ ناقِمًا مُتَهَيِّبًا. وَلَمْ يَخْتَلِفْ عَنّا في هَيْئَتِهِ إِلّا غاغولُ الَّتي راحَتْ تَضْحَكُ ضِحْكاتٍ قابِضَةً لِلنَّفْسِ.

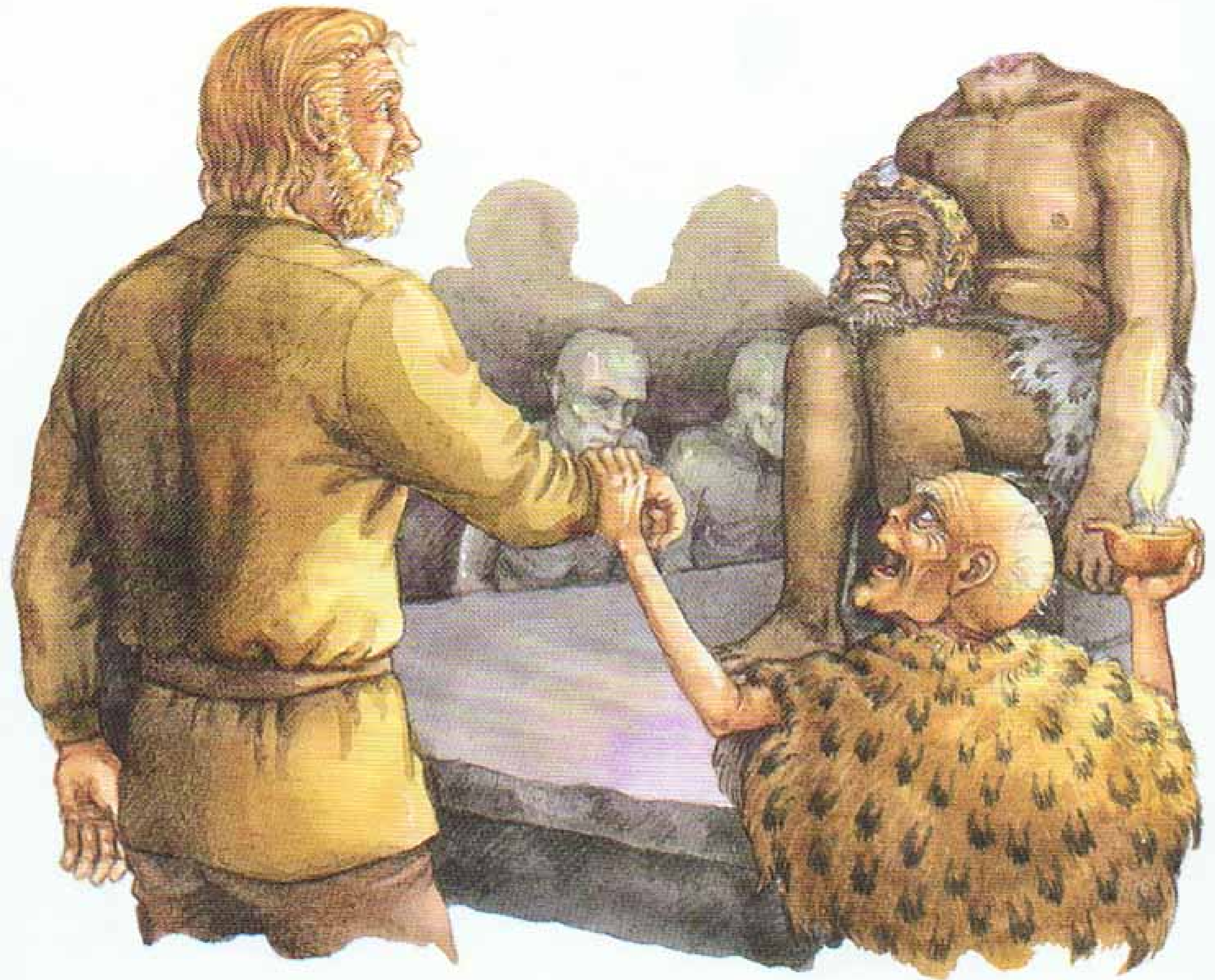
كانَ عَلى رَأْسِ الطّاوِلَةِ هَيْكَلٌ عَظْمِيٌّ أَشْبَهُ بِهَيْكَلٍ عَظْمِيٍّ بَشَرِيٍّ ، وَلٰكِنْ يَعْلو نَحْوَ خَمْسَةِ أَمْتارٍ. وَكانَ يُمْسِكُ في يَدِهِ حَرْبَةً بَيْضاءَ هائِلَةً. ذٰلِكَ كانَ عِنْدَهُمْ مَلاكَ الْمَوْتِ. وَقَدْ بَدا وَكَأَنَّهُ يَهُمُّ بِالنُّهوضِ عَنِ الطّاوِلَةِ ، وَيوشِكُ أَنْ يَرْمِيَ بِحَرْبَتِهِ. وَبَدا كَأَنَّما يَنْظُرُ إِلَيْنا بِوَقْبَيْ عَيْنَيْهِ الْأَجْوَفَيْنِ ، وَيَهُمُّ بِالْكَلامِ. دَعَتْنا الرَّهْبَةُ إِلى الِالْتِفاتِ إِلى الْأَشْكالِ الْبَيْضاءِ حَوْلَ الطّاوِلَةِ ، وَالشَّكْلِ الْقاتِمِ الَّذي بَدا جالِسًا فَوْقَها.



لَمَسَتْ غاغولُ ما نَحْنُ فيهِ مِنْ ذُعْرٍ، فَزَعَقَتْ بِصَوْتِها الْحادِّ، قائِلَةً: «تَعالَوْا، يا مَنْ كُنْتُمْ أَشِدّاءَ في ساحَةِ الْوَغى، تَعالَوْا وَانْظُروا الرَّجُلَ الَّذي قَتَلْتُمْ.»

مَشى السَّيرُ هَنْري وَراءَها. ثُمَّ بَدَرَتْ عَنْهُ صَرْخَةُ هَلَعٍ. فَلَقَدْ تَبَيَّنَ الْآنَ أَنَّ الشَّكْلَ الْقائِمَ لَمْ يَكُنْ إِلّا جُثَّةَ طْوالا، مَلِكِ كوكْوانا الَّذي قَتَلَهُ السَّيرُ هَنْري، وَقَدْ وُضِعَ رَأْسُهُ الْمَقْطوعُ عَلى رُكْبَتَيْهِ، وَدُهِنَ جَسَدُهُ بِمادَّةٍ شَفّافَةٍ لَمّاعَةٍ زادَتْ مَشْهَدَهُ إِرْعابًا.

اِسْتَعْصى عَلَيْنا، بادِئَ ذي بَدْءٍ، فَهْمُ ما رَأَيْنا. ثُمَّ لاحَظْنا أَنَّ الْماءَ الْمُتَجَمِّعَ فَوْقَ السَّطْحِ يَسْقُطُ قَطْرَةً قَطْرَةً عَلى عُنُقِ الْجُثَّةِ وَيَسيلُ بَعْدَ ذٰلِكَ عَلَيْها كُلِّها. لَقَدْ رَأَيْنا طْوالا بِأَعْيُنِنا يَتَحَوَّلُ بِبُطْءٍ إِلى حَجَرٍ زُجاجِيٍّ.



لَقَدْ أَثْبَتَتْ لَنا الْأَشْكالُ الْبَيْضاءُ حَوْلَ الطَّاوِلَةِ صِدْقَ ما اسْتَنْتَجْناهُ. فَإِنَّها أَجْسادٌ بَشَرِيَّةٌ تَحَجَّرَتْ بِفِعْلِ عَمَلِ الطَّبيعَةِ الْبَطيءِ. لَقَدْ حُفِظَتْ أَجْسادُ مُلوكِ الْكوكْوانا عَلى هٰذِهِ الصّورَةِ مُنْذُ آمادٍ لا يَعْلَمُ أَحَدٌ مُبْتَداها. ذٰلِكَ كانَ مُسْتَقَرَّ الْمَوْتِ الْأَبْيَضِ وَالْمَوْتى الْبيضِ.

عِنْدَما اسْتَعَدْنا رَباطَةَ جَأْشِنا أَخَذْنا نَتَفَحَّصُ تِلْكَ الْحُجْرَةَ الْمُرَوِّعَةَ الَّتي يَبْدو أَنَّها نُقِبَتْ في الصَّخْرِ نَقْبًا. تَسَلَّقَتْ غاغولُ في هٰذِهِ الْأَثْناءِ الطّاوِلَةَ بِجَهْدٍ وَسَعَتْ إِلى حَيْثُ كانَ جَسَدُ طْوالا مَوْضوعًا تَحْتَ قَطَراتِ الْماءِ الْواكِفَةِ. ثُمَّ راحَتْ تَدورُ حَوْلَ الطّاوِلَةِ تُخاطِبُ الْأَجْسادَ الْمُتَحَجِّرَةَ كَما يُخاطِبُ الصَّديقُ صَديقَهُ. وَشَرَعَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ تُخاطِبُ بِصَلاتِها الْمَوْتَ الْأَبْيَضَ نَفْسَهُ.

لَقَدْ كانَ مَرْأى تِلْكَ الْمَخْلوقَةِ الشِّرّيرَةِ وَهِيَ تُناجي مَلاكَ الْمَوْتِ، عَدُوَّ الْإِنْسانِ، مِنَ الرَّهْبَةِ بِحَيْثُ كُنّا جَميعًا مُتَلَهِّفينَ لِلْخُروجِ مِنْ هُناكَ.

قُلْتُ بِصَوْتٍ خَفيضٍ، مُتَهَيِّبًا مِنْ رَفْعِ صَوْتي في ذٰلِكَ الْمَكانِ الرَّهيبِ: «الْآنَ يا غاغولُ، خُذينا إِلى الْكَنْزِ!»

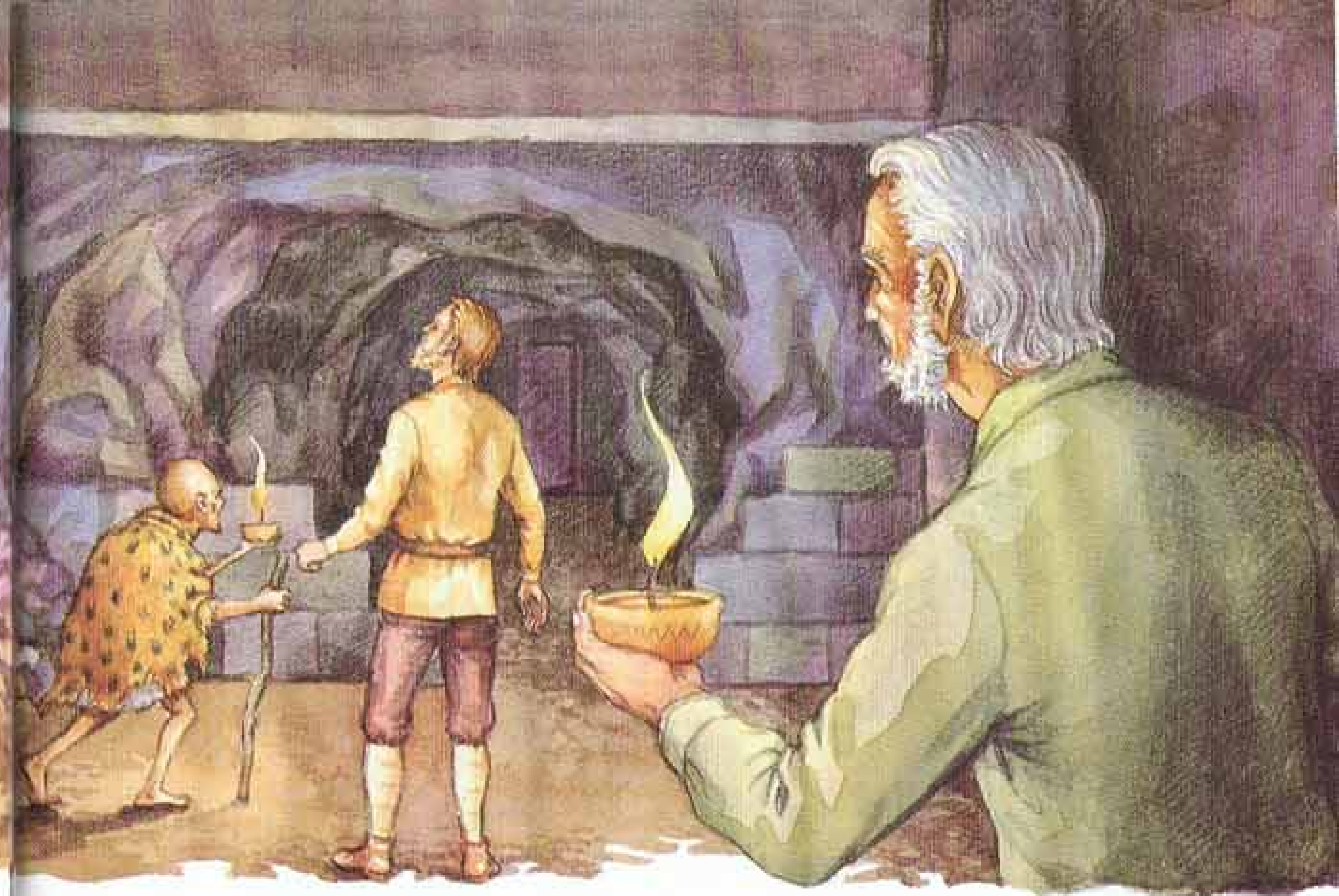
حَدَّقَتْ غاغولُ في وَجْهي، وَقالَتْ: «هَلْ سادَتي خائِفونَ؟ حَدَثَ، فيما مَضى مِنَ الزَّمانِ، أَنْ دَلَّتِ امْرَأَةٌ رَجُلًا غَريبًا عَلى حُجْرَةِ الْكَنْزِ السِّرِّيَّةِ فَحَلَّ بِهِ سوءُ الْمَصيرِ. كانَ اسْمُ تِلْكَ الْمَرْأَةِ غاغولَ أَيْضًا. أَنا هِيَ تِلْكَ الْمَرْأَةُ!»

قُلْتُ بِصَوْتٍ مُتَحَشْرِجٍ: «أَنْتِ كاذِبَةٌ. لَقَدْ حَدَثَ ذٰلِكَ مُنْذُ مِئاتِ السِّنينَ.»

«رُبَّما! فَالْمَرْءُ إِذا عاشَ طَويلًا مالَ إِلى النِّسْيانِ. سَتَجِدُ في ذٰلِكَ الْمَكانِ كيسًا مِنَ الْحِجارَةِ الْبَرّاقَةِ. لَقَدْ مَلَأَ ذٰلِكَ الْغَريبُ كيسَهُ بِتِلْكَ الْحِجارَةِ. لٰكِنْ لَمْ يُتَحْ لَهُ أَنْ يَأْخُذَها.»

كانَتِ الرَّغْبَةُ في الْوُصولِ إِلى الْكَنْزِ قَدْ مَلَكَتْ آنَذاكَ حَواسِّي. فَلَمْ أَعْبَأْ بِتَهْديداتِها. صِحْتُ، وَقَدْ أَغْضَبَني تَهَكُّمُها:

«خُذينا، يا غاغولُ!»



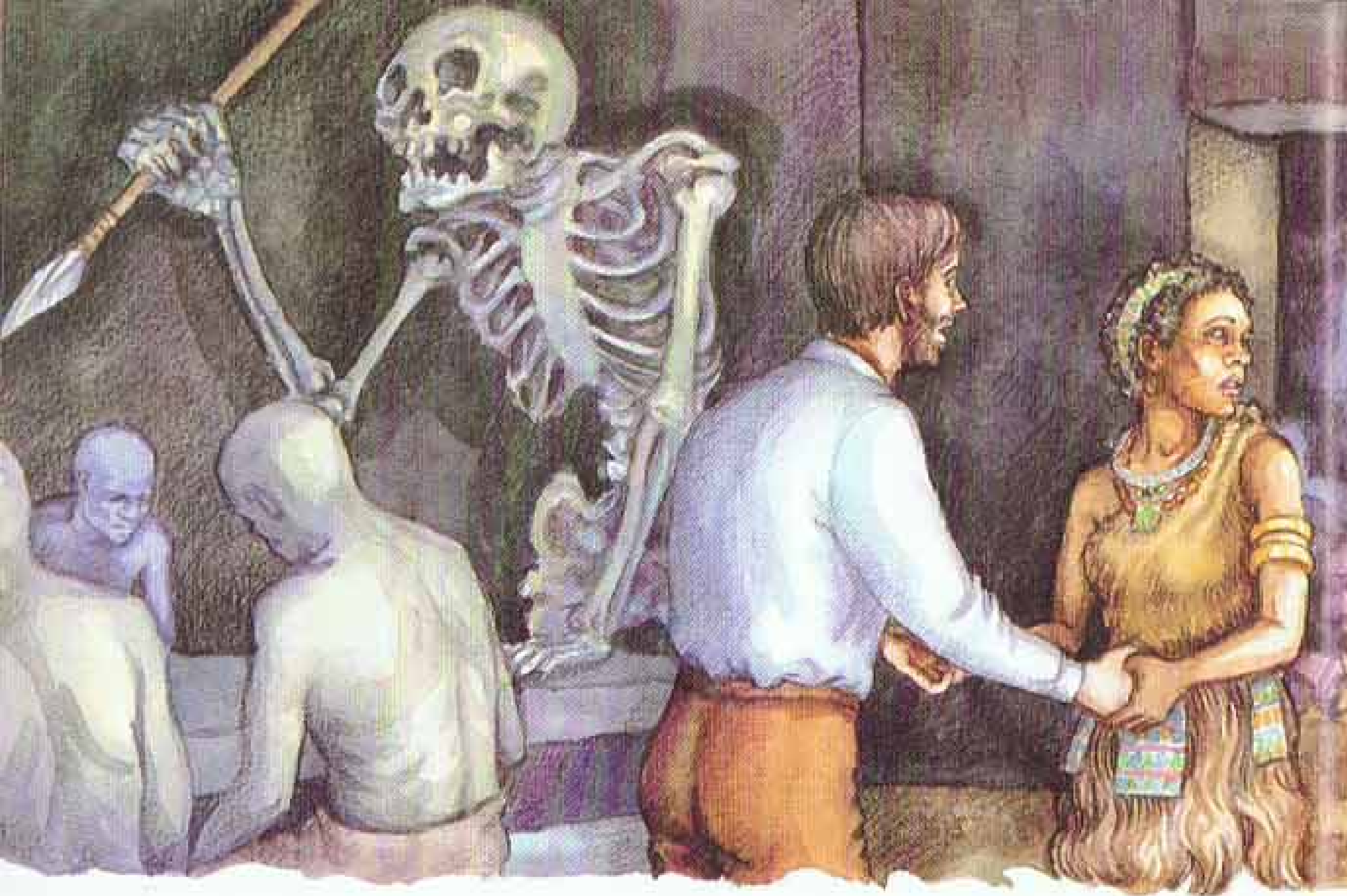
مَشَتْ غاغولُ إلى ما وَراء مَلاكِ الْمَوْتِ وَقالَتْ : «حَسَنًا ، يا سادَةُ ! ها هِيَ الْحُجْرَةُ ! »

لَمْ نَرَ أَمامَنا إلّا جِدارًا صَخْرِيًّا أَصَمَّ . فَصِحْتُ غاضِبًا : «أَنا لا أَرى شَيْئًا ! »

قالَتْ غاغولُ : «عَلى مَهْلِكَ ! » وَبَدا أَنَّها تَمُدُّ يَدَها إلى الْجِدارِ الصَّخْرِيِّ . وَإذْ نَحْنُ نُحَدِّقُ بِأَبْصارِنا رَأَيْنا صَخْرَةً ضَخْمَةً تَنْزَلِقُ مِنْ مَكانِها وَتَرْتَفِعُ بِبُطْءٍ إلى أَنْ يَبْتَلِعَها الْجِدارُ الصَّخْرِيُّ . لا بُدَّ أَنَّ غاغولَ ، إذْ كانَتْ تَسْتَنِدُ إلى الْجِدارِ الصَّخْرِيِّ مُتَظاهِرَةً بِالتَّعَبِ ، قَدْ ضَغَطَتْ عَلى نُقْطَةِ ارْتِكازٍ خَفِيَّةٍ تَتَحَكَّمُ بِالصَّخْرَةِ فَتَرْفَعُها أَوْ تُنْزِلُها .

لَقَدْ كانَتْ حَماسَتُنا لِرُؤْيَةِ الطَّريقِ إلى الْكَنْزِ مَفْتوحَةً أَمامَنا لا تُوصَفُ . كُنْتُ أَنا أَنْتَفِضُ انْتِفاضًا .

«اُدْخُلوا ، يا سادَتي ! وَإذا صَحَّ ما أَقولُ ، سَتَجِدونَ كيسَ جِلْدِ الْماعِزِ الْمَمْلوءَ بِالْحِجارَةِ مَرْمِيًّا عَلى الْأَرْضِ . وَإذا كانَ في دُخولِكُمْ إلى هُنا مَوْتُكُمْ ، فَذلِكَ أَمْرٌ سَيَنْكَشِفُ عَمّا قَريبٍ ! »



تَقَدَّمَتْ غاغولُ في الْمَمَرِّ أَوَّلًا تَحْمِلُ مِصْباحًا مِنْ زَيْتٍ . وَبَعْدَ أَنْ سِرْنا في الْمَمَرِّ بِضْعَةَ أَمْتارٍ وَصَلْنا إلى جِدارٍ غَيْرِ مَصْقولٍ . هُنا تَوَقَّفَتْ فولاطا لا تَجْرُؤُ عَلى مُواصَلَةِ السَّيْرِ . وَواصَلْنا نَحْنُ سَيْرَنا إلى أَنْ وَصَلْنا إلى بابٍ خَشَبِيٍّ ذي رُسومٍ غَريبَةٍ . كانَ الْبابُ مَفْروجًا ، وَرَأَيْنا في الْمَمَرِّ مِنْ خِلالِ فُرْجَةِ الْبابِ كيسَ جِلْدِ الْماعِزِ ، وَقَدْ بَدا مُنْتَفِخًا بِالْحِجارَةِ .

دَبَّتِ الْقُشَعْريرَةُ في جَسَدي . لٰكِنَّ السَّير هَنْري واصَلَ سَيْرَهُ ، فَتَبِعْناهُ . وَأَخيرًا وَجَدْنا أَنْفُسَنا في حُجْرَةِ كُنوزِ الْمَلِكِ سُلَيْمان . كانَتِ الْحُجْرَةُ صَغيرَةً جِدًّا وَمَنْقوبَةً في الصَّخْرِ . وَرَأَيْنا أَمامَنا نَحْوَ دَسْتَةٍ مِنَ الصَّناديقِ الْمَطْلِيَّةِ بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ .

أَسْرَعْنا نَخْلَعُ أَغْطِيَةَ الصَّناديقِ الْخَشَبِيَّةِ بِتَلَهُّفٍ ، وَكانَتْ قَدْ أَصْبَحَتْ مَعَ طولِ الزَّمانِ هَشَّةً . أَنْزَلْتُ يَدي في صُنْدوقٍ وَأَخْرَجْتُها . فَإذا هِيَ مَلْآنَةٌ بِقِطَعٍ ذَهَبِيَّةٍ .

قالَ غود : «ما مِنْ ماسٍ هُنا ، إلّا إذا كانَ دي سِلْفِسْتَر قَدْ وَضَعَها كُلَّها في كيسِهِ . »

قالَتْ غاغولُ عِنْدَئِذٍ بِضِحْكَةٍ شِرِّيرَةٍ : «فَلْيَنْظُرْ سادَتي في الصَّناديقِ الَّتي هُناكَ ! »

عَمِلَ السِّير هَنْري بِما قالَتْ، وَرَفَعَ الْمِصْباحَ فَوْقَ صُندوقٍ مَفْتوحٍ. لَمْ نَرَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ شَيْئًا، فَلَقَدْ بَهَرَ بَصَرَنا بَريقٌ فِضِّيٌّ. ثُمَّ رَأَيْنا ماسًا، مِئاتٍ مِنَ الْماساتِ غَيْرِ الصَّقيلَةِ، يُضارِعُ بَعْضُها حَجْمَ بَيْضِ الْحَمامِ.

رانَ عَلَيْنا الصَّمْتُ لَحَظاتٍ. وَقَفْنا ساكِنينَ يَنْظُرُ بَعْضُنا في وَجْهِ بَعْضٍ. وَكانَ بَيْنَنا الْمِصْباحُ وَالْجَواهِرُ الْمُشِعَّةُ.

قُلْتُ: «سَنَكونُ أَغْنى أَغْنِياءِ الدُّنْيا.»

وَسَمِعْنا صَوْتَ غاغولَ يُوَقْوِقُ خَلْفَنا. وَبَدا صَوْتُها الْحادُّ يَمْلَأُ الْحُجْرَةَ الصَّغيرَةَ.

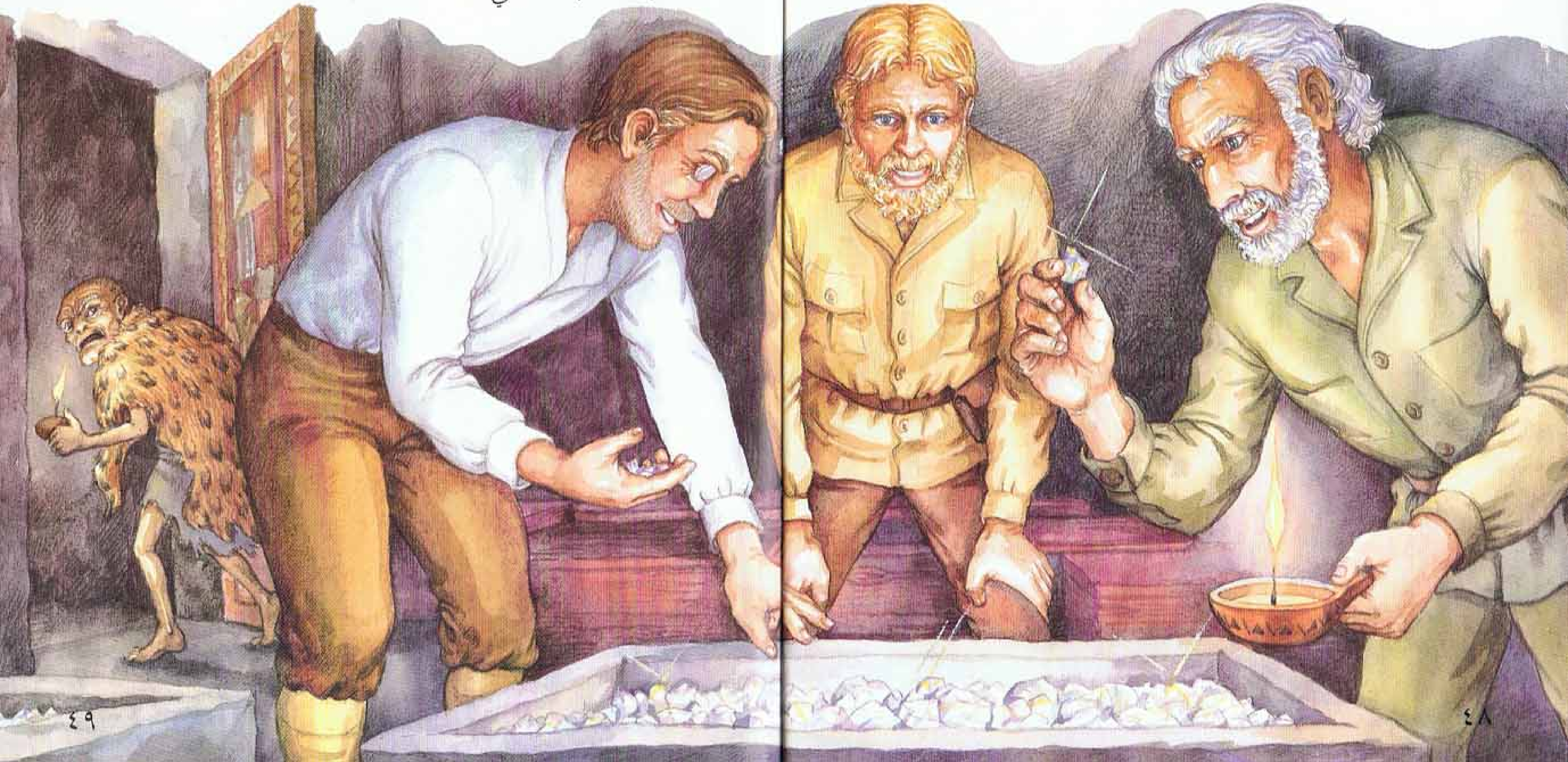
«تِلْكَ هِيَ الْحِجارَةُ الَّتي تُحِبّونَ، وَأَمامَكُمْ مِنْها قَدْرُ ما تَرْغَبونَ. خُذوها بَيْنَ أَصابِعِكُمْ. كُلوها! اِشْرَبوها إِنْ قَدِرْتُمْ!»

كانَ أَمامَنا حَقًّا صَناديقُ مِنَ الْجَواهِرِ وَالْقِطَعِ الذَّهَبِيَّةِ قابِعَةٌ هُناكَ مُنْذُ قُرونٍ.

شَرَعْنا نَفْتَحُ الصَّناديقَ، فَلَمْ نُلاحِظْ في حَماسَتِنا غاغولَ تَتَسَلَّلُ خارِجَةً مِنْ حُجْرَةِ الْكَنْزِ مُتَّجِهَةً صَوْبَ الْبابِ الصَّخْرِيِّ.

فَجْأَةً سَمِعْنا صَرَخاتٍ تَتَوالى. كانَ ذٰلِكَ صَوْتَ فولاطا.

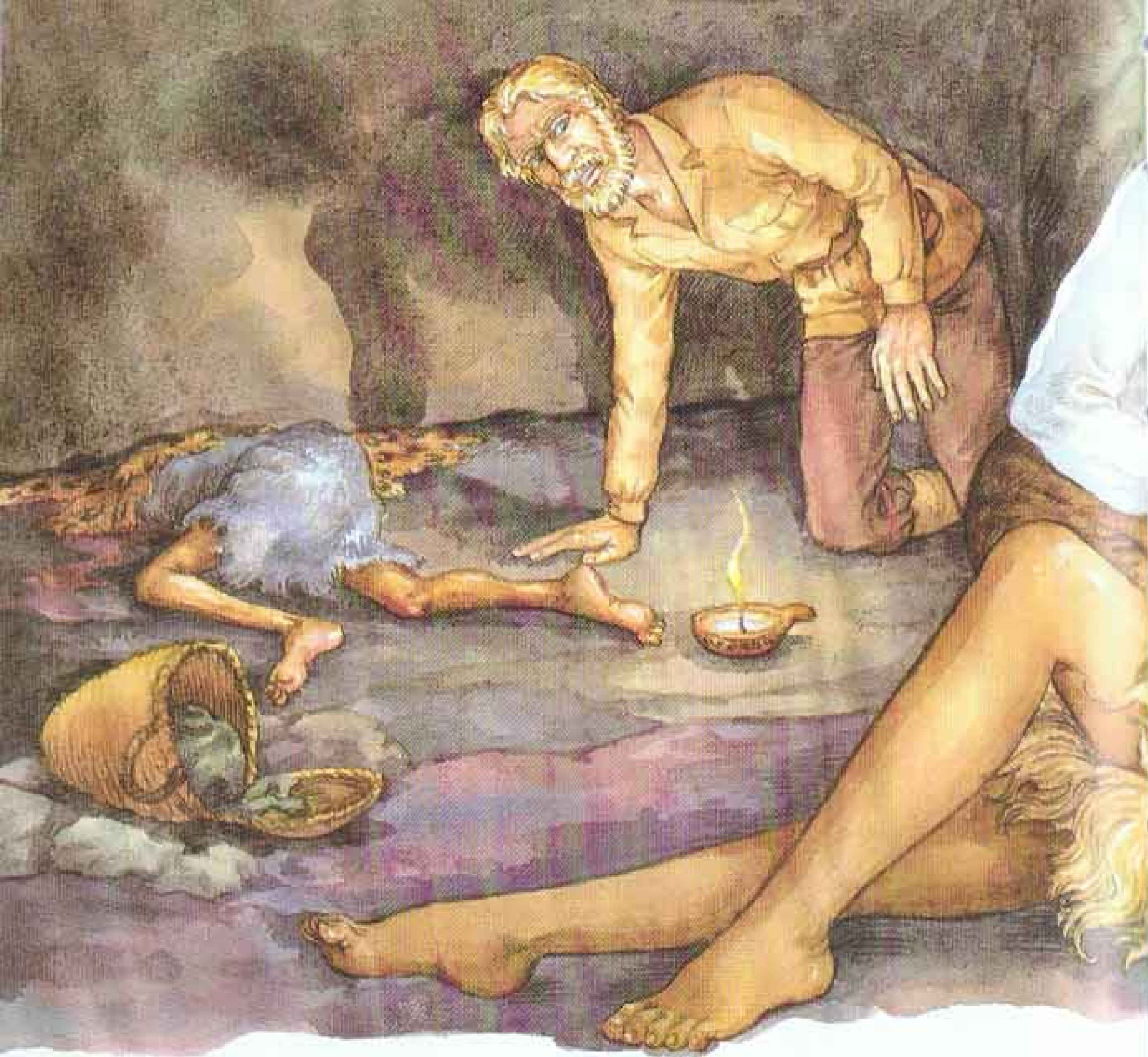
«النَّجْدَةَ، النَّجْدَةَ! قَتَلَتْني!»





جَرَيْنا خارِجينَ مِنْ حُجْرَةِ الْكَنْزِ ، وَهالَنا أَنْ نَرى الْبابَ الصَّخْرِيَّ الضَّخْمَ يَنْغَلِقُ دونَنا بِبُطْءٍ ، وَعِنْدَهُ غاغولُ وَفولاطا تَتَصارَعانِ في بِرْكَةٍ مِنَ الدِّماءِ.

كانَتِ الْفَتاةُ الْباسِلَةُ تَتَمَسَّكُ بِالسّاحِرَةِ الْعَجوزِ ، لٰكِنَّ غاغولَ كانَتْ تُكافِحُ كِفاحَ قِطَّةٍ وَحْشِيَّةٍ لِتُحَرِّرَ نَفْسَها مِنْ قَبْضَةِ فولاطا وَلِتَتَمَكَّنَ مِنَ الزَّحْفِ تَحْتَ الْبابِ الصَّخْرِيِّ الْهابِطِ ... لٰكِنْ كانَ قَدْ فاتَ الْأَوانُ. فَلَقَدْ أَطْبَقَ الْبابُ الصَّخْرِيُّ الضَّخْمُ بِثِقْلِهِ الرَّهيبِ عَلى جَسَدِها الدّاوي الْمُتَلَوّي مُصْدِرًا قَرْقَعَةً مُرَوِّعَةً. أَمّا فولاطا ، وَكانَتْ سِكّينُ غاغولَ قَدِ اخْتَرَقَتْ صَدْرَها ، فَقَدِ ارْتَمَتْ بَيْنَ ذِراعَيْ غود تَلْفُظُ أَنْفاسَها الْأَخيرَةَ عِنْدَ عَتَبَةِ الْبَوّابَةِ الصَّخْرِيَّةِ في جانِبِنا الْمُميتِ مِنْ مَمَرِّ الْكَنْزِ.



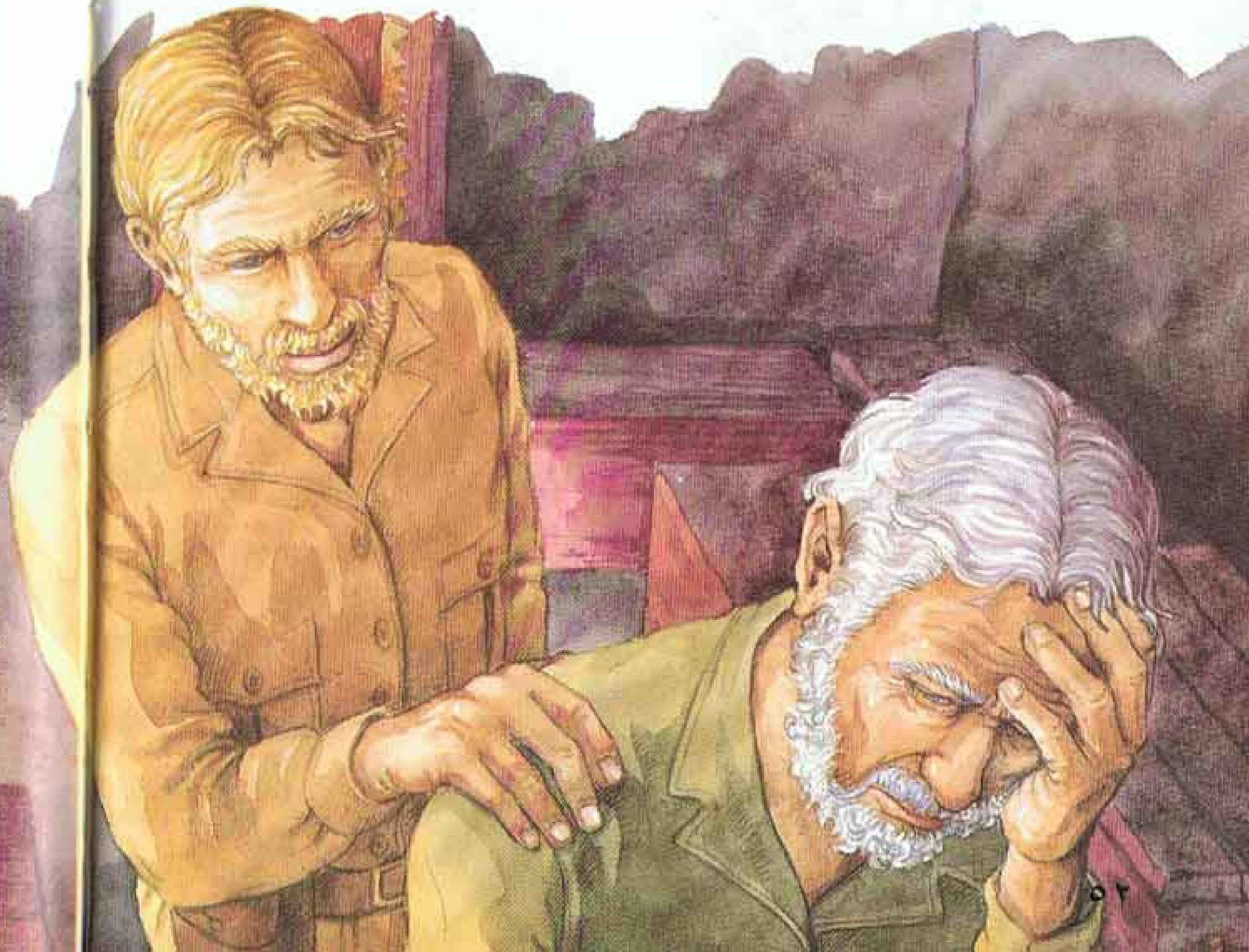
وَجَّهَتْ فولاطا كَلِماتِها الْأَخيرَةَ لي. فَغود لَمْ يَكُنْ يَفْهَمُ لُغَتَها. قالَتْ : «قُلْ لِسَيِّدي إِنّي أُحِبُّهُ. قُلْ لَهُ إِنّي راضِيَةٌ بِالْمَوْتِ ، فَأَنا أَعْرِفُ أَنَّ عالَمَيْنا مُخْتَلِفانِ. قُلْ لَهُ إِنَّهُ إِذا قُدِّرَ لي أَنْ أَعيشَ في حَياةٍ ثانِيَةٍ ، فَسَوْفَ أَبْحَثُ عَنْهُ بَيْنَ النُّجومِ ، أُفَتِّشُ فيها واحِدَةً واحِدَةً إِلى أَنْ أَجِدَهُ.» وَكانَ ذٰلِكَ آخِرَ ما تَلَفَّظَتْ بِهِ. صاحَ غود ، وَقَدِ انْهَمَرَتْ مِنْ عَيْنَيْهِ الدُّموعُ : «ماتَتْ !» قالَ السَّيِرُ هَنْري : «لا تَشْغَلْ بالَكَ بِذٰلِكَ !»

أَغْضَبَ ذٰلِكَ غود ، وَقالَ : «ما تَعْني ؟» أَجابَ السَّيِرُ هَنْري بِتَجَهُّمٍ : «أَعْني أَنَّكَ سَتَلْحَقُ بِها عَمّا قَريبٍ ! أَلا تَرى أَنَّ الْبابَ قَدْ أُغْلِقَ دونَنا ، وَأَنَّ هٰذا هُوَ قَبْرُنا ؟»

فَهِمْنا ، وَنَحْنُ أَمامَ جُثَّةِ فولاطا ، الْمَوْتَ الْبَطيءَ الْمُرَوِّعَ الَّذي كانَتْ غاغولُ قَدْ خَطَّطَتْهُ لَنا .

وَعَلى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّ الْخَوْفَ مِمّا يَنْتَظِرُنا مِنْ مَصيرٍ مُرَوِّعٍ قَدْ صَعَقَنا ، لٰكِنَّنا لَمْ نَتْرُكْ ذٰلِكَ الْخَوْفَ يُشِلُّنا طَويلاً . إِذْ سُرْعانَ ما تَمالَكْنا رَباطَةَ جَأْشِنا وَبَدَأْنا نَتَفَحَّصُ الْجِدارَ تَفَحُّصًا مُنْتَظَمًا بَحْثًا عَمّا يُمْكِنُ أَنْ يَكونَ فيهِ مِنْ نُقْطَةٍ خَفِيَّةٍ تَتَحَكَّمُ بِالْبابِ الصَّخْرِيِّ . لَمْ نَجِدْ ما كُنّا نَبْحَثُ عَنْهُ ، فَعُدْنا إِلى حُجْرَةِ الْكَنْزِ مُثْقَلي الْقُلوبِ .

كُنّا قَدْ جَلَبْنا مَعَنا مِنَ الطَّعامِ وَالْماءِ ما يَكْفينا يَوْمًا كامِلاً . لٰكِنّا كُنّا نَعْلَمُ أَنَّنا سُرْعانَ ما سَنَغْرَقُ في الظَّلامِ . وَفي الْواقِعِ ، ما إِنْ جَلَسْنا لَحْظَةً بَيْنَ صَناديقِ الْكَنْزِ نُفَكِّرُ في حالِنا حَتّى رَأَيْنا شُعْلَةَ الْمِصْباحِ تَشْتَدُّ لِبُرْهَةٍ وَجيزَةٍ اشْتِدادًا أَتاحَ لَنا أَنْ نُلْقِيَ نَظْرَتَنا الْأَخيرَةَ



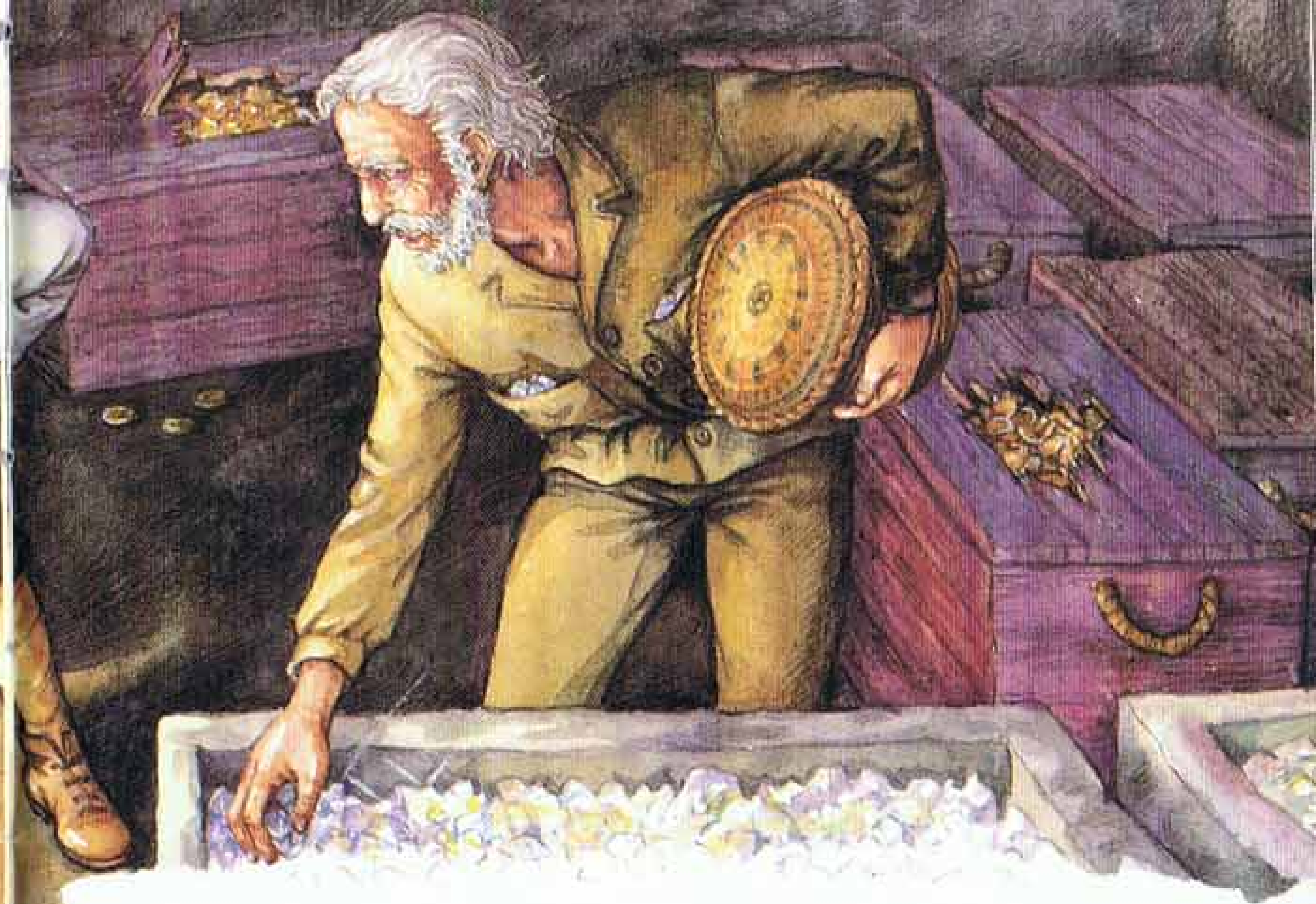
عَلى الذَّهَبِ وَالْجَواهِرِ الَّتي طالَما تَمَنَّيْناها . ثُمَّ خَبا الضَّوْءُ وَانْطَفَأَ .

كانَ الصَّمْتُ الَّذي تَمَلَّكَنا في تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَشَدَّ فَظاعَةً حَتّى مِنَ الْمَوْتِ الزّاحِفِ عَلَيْنا . كانَ بَيْنَنا وَبَيْنَ قاعَةِ الْمَوْتى مِتْرانِ مِنَ الصَّخْرِ الْأَصَمِّ ، وَالْمَوْتى لا يَأْتونَ بِضَجيجٍ . وَعَلى عُلُوِّ مِئاتِ الْأَمْتارِ مِنْ فَوْقِنا يَنْسابُ الْهَواءُ النَّقِيُّ فَوْقَ الثَّلْجِ ، وَلٰكِنْ قَدْ لا يَصِلُ إِلى قَبْرِنا الْمَخْتومِ . وَفي مُحاوَلَةٍ يائِسَةٍ رُحْنا نَصْرُخُ . لٰكِنْ سُرْعانَ ما أَقْلَعْنا عَنْ ذٰلِكَ مَكْسوري الْخاطِرِ ، فَقَدِ اسْتَنْفَدَ الْمَجْهودُ قُوانا وَتَسَبَّبَ في عَطَشِنا .

أَخيرًا اسْتَسْلَمْتُ لِلْيَأْسِ ، وَوَضَعْتُ يَدي عَلى كَتِفِ السِّيرِ هِنْري مَهْدودَ الْحَيْلِ . لَقَدْ عامَلَنا ذٰلِكَ الرَّجُلُ الْقَوِيُّ ، أَنا وَغود ، بِعَطْفٍ كَما تُعامِلُ مُرَبِّيَةٌ طِفْلَيْنِ مَذْعورَيْنِ .

وَهٰكَذا راحَ الْوَقْتُ يَمُرُّ .





أَضأْتُ عُودَ كِبْريتٍ لِأَنْظُرَ في ساعَتي. وَإِذْ كُنْتُ أَقومُ بِذٰلِكَ خَطَرَ لي خاطِرٌ. فَسَأَلْتُ بِصَوْتٍ عالٍ:

«كَيْفَ يَظَلُّ الْهَواءُ في هٰذا الْمَكانِ نَقِيًّا؟»

تَعَلَّقْنا كُلُّنا بِذٰلِكَ الْأَمَلِ الْواهي تَعَلُّقًا حَميمًا، وَرُحْنا نَبْحَثُ عَنْ شَقٍّ يَدْخُلُ مِنْهُ الْهَواءُ. وَوَجَدَ غود في الْأَرْضِ قُرْصًا حَجَرِيًّا يُغَطّيهِ الْحَصى وَالْغُبارُ. لَمْ نَكَدْ نَجْرُؤُ عَلى أَنْ نُصَدِّقَ ما لاحَ لَنا مِنْ أَمَلٍ. وَبِكُلِّ ما بَقِيَ فينا مِنْ قُوَّةٍ رَفَعْنا ذٰلِكَ الْقُرْصَ. رَأَيْنا عَلى ضَوْءِ عودِ الْكِبْريتِ أَنَّ تَحْتَنا دَرَجًا يُوصِلُ إِلى أَعْماقٍ أَشَدَّ غَوْرًا. لٰكِنَّا رَأَيْنا في ذٰلِكَ خَلاصَنا.

قَبْلَ أَنْ نَشْرَعَ في النُّزولِ، طَلَبَ مِنّي السَّيرِ هَنْري أَنْ أَجْلِبَ مَعي ما تَبَقّى مَعَنا مِنْ زادٍ. فَفَعَلْتُ ذٰلِكَ. لٰكِنّي أَيْضًا مَلَأْتُ جُيوبي وَسَلَّةَ الطَّعامِ بِالْماسِ. ثُمَّ تَرَكْنا ذٰلِكَ الْمَكانَ الْمَلْعونَ إِلى الْأَبَدِ.

وَجَدْنا في أَسْفَلِ الدَّرَجِ شَبَكَةً مِنَ الْمَمَرّاتِ. فَرُحْنا نَسيرُ يَمينًا أَوْ يَسارًا سَيْرًا اعْتِباطِيًّا، نَتَلَمَّسُ طَريقَنا في الظَّلامِ تَلَمُّسًا. فَجْأَةً سَمِعْنا صَوْتَ ماءٍ يَتَدَفَّقُ، وَصَوْتَ جِسْمٍ يَقَعُ فيهِ. أَشْعَلْنا عودَ كِبْريتٍ فَرَأَيْنا غود قَدْ سَقَطَ في الْماءِ، وَرَأَيْناهُ، إِنْقاذًا لِنَفْسِهِ، يَتَمَسَّكُ بِصَخْرَةٍ. فَأَسْرَعْنا نُخْرِجُهُ. شَرِبْنا وَتَقَدَّمْنا في طَريقِنا مُجْهَدينَ. وَبَدا لَنا آنَذاكَ أَنَّنا أَفْلَتْنا مِنْ حُجْرَةِ الْكَنْزِ لِنَموتَ هُنا وَسَطَ ظَلامٍ أَحْلَكَ.

ثُمَّ لَمَحْنا ضَوْءًا ! نَعَمْ ، لَقَدْ كانَ أَمامَنا بَصيصُ ضَوْءٍ . فَسَعَيْنا إِلَيْهِ . وَوَجَدْنا أَنْفُسَنا بَعْدَ دَقيقَةٍ نَتَنَفَّسُ هَواءً أَلْطَفَ . كانَ مَمَرُّنا الْآنَ تُرابِيًّا وَلَيْسَ مَنْقوبًا في صَخْرٍ . وَسُرْعانَ ما وَجَدْنا أَنْفُسَنا في الْهَواءِ الطَّلْقِ .

وَقَفْنا عَلى سَفْحِ الْجَبَلِ نَتَأَمَّلُ النُّجومَ الَّتي لَمْ نَكُنْ نَحْسَبُ أَنَّهُ سَيُقَدَّرُ لَنا أَنْ نَراها مَرَّةً

أُخْرى ، وَسالَتْ مِنْ عُيونِنا دُموعُ الْفَرَحِ . نَزَلْنا السَّفْحَ نَتَعَثَّرُ ، وَقَدْ غارَتْ وُجوهُنا وَتَشَعَّثَ شَعْرُنا وَامْتَلَأَتْ أَجْسادُنا وَحَلًا . وَرَأَيْنا طَريقَ سُلَيْمانَ تَحْتَنا . وَرَأَيْنا شَخْصًا يُقْبِلُ عَلَيْنا راكِضًا . كانَ ذٰلِكَ إِنْفادوسَ الْأَمينَ .

صاحَ إِنْفادوس بِفَرَحٍ عَظيمٍ : «يا سادَتي ، لَقَدْ بُعِثْتُمْ أَحْياءً !»

اِبْتَهَجَ إِغْنوسي وَقَوْمُهُ بِعَوْدَتِنا سالِمينَ، وَبِهَلاكِ غاغول. لٰكِنَّ إِغْنوسي أَحْزَنَهُ أَنْ يَرانا نَسْتَعِدُّ لِلرَّحيلِ. ذَكَّرْتُ إِغْنوسي أَنَّهُ قَدْ عادَ إِلى بَلَدِهِ، وَأَنَّنا نَحْنُ أَيْضًا نَرْغَبُ الْآنَ في الْعَوْدَةِ إِلى بَلَدِنا. فَوَدَّعَنا، وَمَضَيْنا بِقُلوبٍ مُثْقَلَةٍ صامِتينَ.

مَشى مَعَنا إِنْفادوس إِلى أَنْ وَصَلْنا إِلى الْجِبالِ، وَهُناكَ أَرانا مَمَرًّا غَيْرَ ذاكَ الَّذي سَلَكْناهُ في مَجيئِنا، يُوْصِلُ، كَما قالَ، إِلى واحَةٍ. وَلا شَكَّ أَنَّ ذٰلِكَ هُوَ الْمَمَرُّ الَّذي سَلَكَتْهُ والِدَةُ إِغْنوسي مُنْذُ زَمَنٍ بَعيدٍ حينَ فَرَّتْ بِابْنِها مِنْ وَجْهِ طْوالا، وَإِلّا لَكانَتْ هَلَكَتْ في الصَّحْراءِ هِيَ وَابْنُها الْفَتى.

صَحَّ ما أَنْبَأَنا بِهِ إِنْفادوس. فَفي ظَهيرَةِ الْيَوْمِ الثّالِثِ رَأَيْنا في الْأُفُقِ الْبَعيدِ أَشْجارًا. وَعِنْدَ الْغُروبِ كُنّا نَطَأُ أَرْضًا مُعْشِبَةً بِحِذاءِ ماءٍ جارٍ.

اَلْآنَ أُحَدِّثُكُمْ بِما لَعَلَّه أَغْرَبُ ما واجَهَنا في رِحْلَتِنا الْمُذْهِلَةِ تِلْكَ. فَإِنّي إِذْ كُنْتُ أَسيرُ في الْمُقَدِّمَةِ، عَلى مَسافَةٍ يَسيرَةٍ مِنْ صاحِبَيَّ، تَوَقَّفْتُ فَجْأَةً وَفَرَكْتُ عَيْنَيَّ. لَقَدْ رَأَيْتُ بَيْنَ الْأَشْجارِ كوخًا صَغيرًا، وَرَأَيْتُ رَجُلًا يَمْشي مُتَّكِئًا عَلى عَصًا مِشْيَةً مُضْطَرِبَةً، وَبَدا لي كَأَنّي أَعْرِفُ ذٰلِكَ الرَّجُلَ!

كانَ الْغَريبُ ذا لِحْيَةٍ سَوْداءَ وَيُغَطّي جَسَدَهُ بِجُلودِ الْحَيَوانِ. وَحينَ رَآنا صَرَخَ وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. سَمِعْنا السَّيرِ هَنْري يَصيحُ هُوَ الْآخَرُ صَيْحَةً مُضْطَرِبَةً وَيَجْري صَوْبَ ذٰلِكَ الرَّجُلِ.

«يا إِلٰهي! ذٰلِكَ هُوَ أَخي!»

تَأَثَّرْنا أَنا وَغود تَأَثُّرًا بالِغًا إِذْ لَمَسْنا الْبَهْجَةَ وَالْمَحَبَّةَ اللَّتَيْنِ لاقى بِهِما كُلٌّ مِنَ الْأَخَوَيْنِ أَخاهُ.

أَنْجَزْنا الْآنَ حَقًّا كُلَّ ما جِئْنا مِنْ أَجْلِهِ. وَأَيًّا كانَ السَّبَبُ الَّذي اخْتَصَمَ الْأَخَوانِ لِأَجْلِهِ مِنْ قَبْلُ، فَإِنَّهُ الْآنَ قَدْ صارَ نَسْيًا مَنْسِيًّا. وَاسْتَمَعْنا في الْمَساءِ إِلى جورج يَرْوي لَنا



مُغامَراتِهِ. لَقَدْ حاوَلَ الْوُصولَ إلى جَبَلِ سُلَيْمانَ عَبْرَ طَريقِ الْواحَةِ الَّتي سَلَكْناها في رِحْلَةِ عَوْدَتِنا، لٰكِنَّ حادِثًا مُؤْسِفًا أَعْطَبَ ساقَهُ وَأَجْبَرَهُ على الْبَقاءِ حَيْثُ هُوَ. فَلَمْ يَكُنْ قادِرًا على مُتابَعَةِ رِحْلَتِهِ وَلا الْعَوْدَةِ مِنْ حَيْثُ أَتى. وَوَجَدَ نَفْسَهُ مُجْبَرًا على الْعَيْشِ سَنَتَيْنِ وَحيدًا في تِلْكَ الْواحَةِ. وَقَدْ حالَفَهُ الْحَظُّ لِأَنَّهُ كانَ في مَكانٍ يَتَوافَرُ فيهِ الْماءُ وَالظِّلُّ وَالصَّيْدُ. وَهٰكَذا تَمَكَّنَ مِنَ الْبَقاءِ حَيًّا، إلى أَنْ أَتاحَتْ لَنا الْعِنايَةُ الْإِلٰهِيَّةُ أَنْ نُنْقِذَهُ.

كانَتْ طَرِيقُ الْعَوْدَةِ إلى قَرْيَةِ سيتانْدا شاقَّةً. فَقَدْ كانَ عَلَيْنا أَنْ نَحْمِلَ جورج عَلى مِحَفَّةٍ طَوالَ الطَّريقِ. عِنْدَما وَصَلْنا إلى سيتانْدا كانَ ارْتِياحُنا عَظيمًا. هُناكَ وَجَدْنا عَرَبَتَيْنا وَمُؤْنَنا سالِمَةً في عُهْدَةِ السَّوّاقَيْنِ الْأَمينَيْنِ غوزا وطوم. وَبَعْدَ أَيّامٍ مِنَ الرّاحَةِ، شَدَدْنا ثيرانَنا الاِثْنَيْ عَشَرَ إلى عَرَبَتَيْنا وَبَدَأْنا رِحْلَةَ الْعَوْدَةِ الطَّويلَةَ بِغَيْرِ مَشَقَّةٍ. وَقَدْ مَرَرْنا في مَناطِقَ مُخْتَلِفَةٍ إلى أَنْ وَصَلْنا أَخيرًا إلى مَنْزِلي في ناتالَ الْقَريبَةِ مِنْ دُرْبان.

بَعْدَ نَحْوِ أُسْبوعٍ وَقَفْتُ في ميناءِ دُرْبانَ أُوَدِّعُ السَّيِّر هَنْري وَأَخاهُ وَالْقُبْطانَ غود الَّذينَ اسْتَقَلّوا باخِرَةً تَقِلُّهُمْ إلى مَدينَةِ الْكابِ وَمِنْها إلى إنْجِلْترا. لَقَدْ واجَهْنا مَعًا الْعَديدَ مِنَ الْمِحَنِ وَالْكُروبِ فَكانَ الْوَداعُ مُؤَثِّرًا. لَكِنَّا تَعاهَدْنا عَلى أَنْ نَلْتَقِيَ في وَقْتٍ غَيْرِ بَعيدٍ.



بَعْدَ بِضْعَةِ شُهورٍ تَلَقَّيْتُ رِسالَةً مِنْ صَديقي السَّيِّر هَنْري جاءَ فيها:

«وَصَلْنا ثَلاثَتُنا إنْجِلْترا بِسَلامٍ. وَيُسْعِدُني أَنْ أُخْبِرَكَ أَنَّ الْجَرّاحينَ قَدْ عالَجوا ساقَ أَخي عِلاجًا ناجِحًا. وَلَمْ يُضايِقِ الْقُبْطانَ غود أَنْ تَسَرَّبَتْ حِكايَةُ أَسْنانِهِ الاِصْطِناعِيَّةِ السِّحْرِيَّةِ إلى الصُّحُفِ وَالْمَجَلّاتِ. وَلَكِنَّ الْمِسْكينَ لا يَزالُ حَزينًا جِدًّا عَلى مَوْتِ فولاطا. وَيَقولُ إنَّهُ لَنْ يَجِدَ لَها في حَياتِهِ مَثيلًا.



الآنَ حَديثُ الأَعْمالِ. لَقَدْ أَخَذْنا، أَنا وَغود، الْماساتِ، وَخَمَّنّاها في سوقِ الْجَواهِرِ. ويَسُرُّني أَنْ أُعْلِمَكَ أَنَّ هٰذِهِ الْماساتِ تُساوي ثَرْوَةً هائِلَةً، فَإِنَّها لا مَثيلَ لَها لا مِنْ حَيْثُ حَجْمُها ولا مِنْ حَيْثُ صَفاؤُها وَجودَتُها. وَقَدْ نُصِحْنا أَنْ نَبيعَها عَلى مَراحِلَ، لِئَلّا نُبَلْبِلَ سوقَ الْماسِ.

نَحْنُ الْآنَ ذَوو ثَراءٍ فاحِشٍ، وَإِنَّ لَدَيْنا مَشْروعاتٍ كَثيرَةً مُثْمِرَةً. لَعَلَّكَ تَرْغَبُ في الْعَوْدَةِ وَمُشارَكَتِنا في مَشْروعاتِنا. أَوْ لَعَلَّكَ تَرْغَبُ في كِتابَةِ أَحْداثِ الْمُغامَراتِ الْمُذْهِلَةِ الَّتي عِشْناها سَوِيَّةً.»

لَمْ يَبْقَ مِنْ أَخْباري إِلّا الْقَليلُ. لَقَدْ فَكَّرْتُ مَلِيًّا في ما وَرَدَ في رِسالَةِ السّير هَنْري، وَرَأَيْتُ أَنَّني فِعلًا راغِبٌ في الْعَوْدَةِ إِلى بَلَدي. فَقَدْ كانَ ما أَنْجَزْتُهُ يَفوقُ ما يُمْكِنُ أَنْ يَخْطُرَ عَلى بالٍ حَتّى في أَعْجَبِ الْأَحْلامِ. وَكُنْتُ أَخْشى أَيْضًا أَلّا يَظَلَّ حَظّي الْمُذْهِلُ مُلازِمًا لي. فَأَقَمْتُ أَسابيعَ أُرَتِّبُ شُؤوني، وَأَبيعُ ما عِنْدي مِنْ مُمْتَلَكاتٍ يَسيرَةٍ، ثُمَّ أَبْحَرْتُ إِلى بَلَدي.



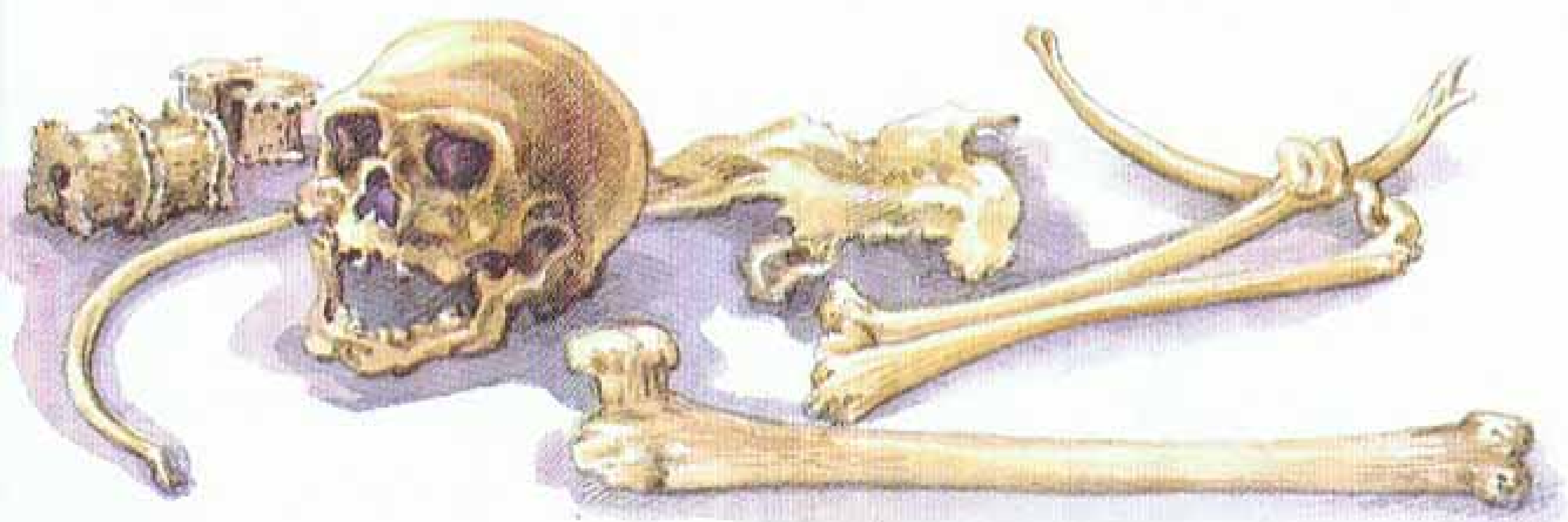
هَنْري رايْدَر هَغَرْد

وُلِدَ هَنْري رايْدَر هَغَرْد في بَلْدَةِ بْراوِنْهام في إنْجِلْترا في ٢٢ حَزيرانَ (يونْيه) مِنْ عام ١٨٥٦. اِرْتَحَلَ في فُتُوَّتِهِ إلى جَنوبِ إفْريقيا، وَعَمِلَ في وَظائِفَ مُخْتَلِفَةٍ. وَمَعَ أَنَّهُ تَرَكَ تِلْكَ الْبِلادَ في الْعامِ ١٨٨١ إلى غَيْرِ رَجْعَةٍ، فَلَقَدْ طَغَتْ صورَتُها على مُخَيِّلَتِهِ وَاتَّخَذَها وَحْيًا في الْعَديدِ مِنْ كِتاباتِهِ.

نَشَرَ كِتابَهُ **كُنوزَ الْمَلِكِ سُلَيْمانَ** الَّذي نُقَدِّمُهُ هُنا إلى الْقارِئِ الْعَرَبِيِّ، في الْعامِ ١٨٨٥، فَلاقى عَلى الْفَوْرِ نَجاحًا واسِعًا. ثُمَّ نَشَرَ عَدَدًا مِنَ الْكُتُبِ الْأُخْرى الَّتي رَسَّخَتْ مَوْقِعَهُ كَواحِدٍ مِنْ أَعْظَمِ كُتّابِ الْمُغامَراتِ في عَصْرِهِ. لَقَدْ طَغَتْ إفْريقيا عَلى كِتاباتِهِ، لٰكِنَّهُ لَمْ يَجْعَلْ مِنْها وَحْدَها مَسْرَحًا لِأَعْمالِهِ. فَقَدْ كَتَبَ كُتُبًا مُشَوِّقَةً جِدًّا تَدورُ أَحْداثُها في إيسْلَنْدا وَالْمَكْسيكِ وَمِصْرَ الْقَديمَةِ. وَيَجْمَعُ بَيْنَ هٰذِهِ الْكُتُبِ ما فيها مِنْ مُغامَراتٍ، وَما في الْبِلادِ النّائِيَةِ الْغامِضَةِ الَّتي تَدورُ فيها الْأَحْداثُ مِنْ سِحْرٍ وَتَشْويقٍ.

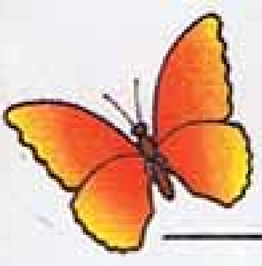
ومَعَ أَنَّ عَمَلَهُ في الْكِتابَةِ اسْتَغْرَقَ جُلَّ وَقْتِهِ، فإنَّه كانَ قادِرًا على أنْ يُسْهِمَ في نشاطاتٍ أُخْرى عَديدَةٍ. وكانَ للزِّراعَةِ وأَوْضاعِ النّاسِ الاجْتِماعِيَّةِ نَصيبٌ كَبيرٌ مِنْ تِلْكَ النَّشاطاتِ. وقَدِ اشْتَرَكَ في عَدَدٍ مِنَ اللِّجانِ في مَجالَيِ الزِّراعَةِ وأَحْوالِ أَهْلِ الرّيفِ. كَذٰلِكَ أَسْهَمَ في نَشاطاتِ مُؤَسَّسَةِ البِرِّ والإحْسانِ المَعْروفَةِ باسْمِ «جَيْشِ الخَلاص». وكانَ أنِ ارْتَحَلَ إلى أميركا لِيَتَعَرَّفَ إلى أَساليبِ تِلْكَ المُؤَسَّسَةِ هُناكَ في مُساعَدَةِ الفُقَراءِ.

تابَعَ هَغَرْد كِتابَةَ القِصَصِ طَوالَ حَياتِهِ ، وكَتَبَ أَيْضًا سيرَتَهُ الذّاتِيَّةَ : The Days of My Life (أَيّامِ حَياتي) ، الَّتي نُشِرَتْ في العامِ ١٩٢٦ . وكانَ شَديدَ التَّواضُعِ فيما يَتَعَلَّقُ بِما نالَتْهُ أَعْمالُهُ القَصَصِيَّةُ مِنْ شُهْرَةٍ ذائِعَةٍ ، وظَلَّ دائِمًا يُصَرِّحُ أَنَّهُ يَعْتَبِرُها أَعْمالَ راوِيَةِ حِكاياتٍ لا أَعْمالَ رِوائِيٍّ عَظيمٍ . ومَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ ، فَإِنَّهُ نَجَحَ في كِتابَةِ مُغامَراتٍ مُشَوِّقَةٍ سَتَحْظى دائِمًا بِاهْتِمامِ النّاسِ وتُثيرُ خَيالَهُمْ. وكانَتْ وَفاتُهُ في ١٤ أَيّار (مايو) ١٩٢٥ .



كتب الفراشة - القصص العالميّة

١ - الدُّكتور جيكل ومِستر هايْد
٢ - أوليڤَرتْويسْت
٣ - نِداء البَراري
٤ - موبي دِك
٥ - البَحّار
٦ - المخْطوف
٧ - شَبَح باسْكِرْڤيل
٨ - قِصَّة مَدينَتين
٩ - مونْفليت
١٠ - الشَّباب
١١ - عَوْدة المُواطِن
١٢ - الفُنْدق الكبير
١٣ - حَولَ العالَم في ثمانينَ يَومًا
١٤ - رِحْلَة إلى قَلْب الأرض
١٥ - كُنوز الملِك سُلَيْمان
١٦ - سايْلس مارْنَر
١٧ - شيْرلي
١٨ - رِحلات چَلِڤَر
١٩ - بعيدًا عن صَخب النّاس
٢٠ - مُغامَرات هَكلبري فين
٢١ - ديڤيد كوپرفيلد
٢٢ - بْليك هاوُس
٢٣ - بْلاك بْيُوتي



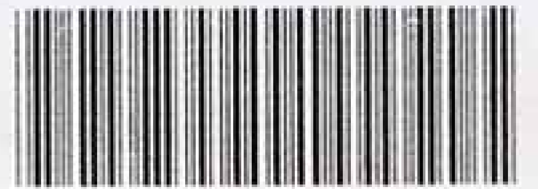
كتب الفراشة

القصص العالميّة ١٥. كنوز الملك سليمان

إفريقيا القرنِ التّاسعَ عشرَ، كما تَصوَّرها النّاس وصوَّرها الرحّالة، قارّة حافلة بالغرائب - إفريقيا القبائل الغامضة والتراث القديم والكنوز الدفينة. الكاتب، في هذه القصّة المشوّقة الرّائعة، يصف لنا الساحرات والخوارق، والممرّات السرّية القديمة، وطبعًا الكنوز الدفينة. ولعلّ من أبرز المشاهد إثارة ذلك المشهد الذي يصوّر وصول بطل الكتاب وصحبه ودليلتهم الشرّيرة، الساحرة غاغول، إلى «كهف الموت»، حيث الموتى من ملوك القبائل، يتحوّلون ببطء، بفعل المطر المتقطّر من سقف الكهف، إلى حجارة.



مكتبة لبنان ناشرون



01C196815